

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الأدب واللغة العربية



مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي
دراسات أدبية
أدب عربي قديم
رقم: ق/50 مؤ

إعداد الطالبة:
فاتن حامدي
يوم: 2020//

أدب الرحلة وسياسيولوجية السرد الحكائي لابن فضلان

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أستاذ	المحمد بن لخضر فورار
مشرفا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أ.مح.أ	سامية بوعجاجة
عضوا مناقشا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أ.مح.أ	سامية راجح

السنة الجامعية : 2021/2020م

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الأدب واللغة العربية



مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي
دراسات أدبية
أدب عربي قديم
رقم: ق/50 مؤ

إعداد الطالبة:
فاتن حامدي
يوم: 2020//

أدب الرحلة وسياسيولوجية السرد الحكائي لابن فضلان

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أستاذ	المحمد بن لخضر فورار
مشرفا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أ.مح.أ	سامية بوعجاجة
عضوا مناقشا	جامعة محمد خيضر بسكرة	أ.مح.أ	سامية راجح

السنة الجامعية : 2021/2020م

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية : لادابج واللغات الأجنبية
قسم : اللغة والادب العربي



مذكرة ماستر

الميدان : اللغة والادب العربي
الفرع: دراسات أدبية
التخصص: أدب عربي قديم
رقم:

إعداد الطالب (ة):
فاتن حامدي
يوم:

عنوان المذكرة

أدب الرحلة وسيبولوجية السرد الحكائي لابن فضلان

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة بسكرة	أ - مح - أ	امحمد بن لخضر فورار
مشرفا	جامعة بسكرة	أ - مح - أ	سامية بوعجاجة
مناقشا	جامعة بسكرة	أ - مح - أ	سامية راجح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شکر

أتقدم بالشكر الجزيل لكل شخص كان له يد في إتمام هاته المذكرة ، أشكر أمي و أبي شكرا تعجز كلماتي عن وصفه أشكر دعمهما المعنوي الكبير الذي لاقيته و لازلت ألاقيه منها دائما، وأيضا دعمهما المادي في كل صغيرة وكبيرة . انا ممتنة لله كثيرا لوجودهما في حياتي ، لربما استسلمت مرات كثيرة في سبيل انهاء المذكرة ، لكن دعمهما لي جعلني أخجل من أن أتوقف ، أعجز عن رد الجميل لهما، وأشكر أختي شيماء التي كانت بمثابة ظلي وأوصلت كل امانة كان يجب أن تصل لإنهاء هاته المذكرة كل أمانة كان يجب ان تصل لإنهاء هاته المذكرة ، أتمنى أن أنجح في رد الجميل لها ، وأشكر أخي خالد و أم كلثوم وكل العائلة على المساندة، أشكر صديقتي كريمة ترغيني التي انارت لي خيط البدء في المذكرة ، وأشكر جيزيل الشكر لمشرفتي الدكتورة سامية بوعجاجة وأنه بفضلها مشيت قدما في إنهاء المذكرة وتصويبها لما وجب تصويبه فيها، لم تكن بمثابة استاذة ومشرفة بالنسبة لي بل اطمع ان تكون صديقة لي لما لمستته من البعد الإنساني في معاملتها وأطمع أن أتعلم منها للتحضير لمسابقة الدكتوراه مستقبلا و أشكر الأستاذة آسيا جريوي التي بفضلها اخترت موضوع المذكرة ، أنا ممتنة لها فعلة ، وكذلك الدكتور رئيس القسم علي بخوش الذي كان عوننا لنا نحن الطلبة يستمع لمطالبنا وأشكر كل من صديقاتي : رحيمة، دنيا، لبنى جيهان، سارة، منيرة و الاستاذ حمادة، والاستاذة عتيقة وشهرزاد وقوفهم معي في السنوات الدراسية،لولاهم لما وصلت إلى التخرج.

وأيضا لا أنسى الأستاذة عجيري و هيبة و العديد من أساتذتي والأخ في إدارة مكتب الماستر مفتاح و الأخت سابقا في مصلحة الإنخراط حليلة ، لقد كان لهم جميعا دور في الماضي قدما ، و أعتذر لكل من لم أذكر إسمه فالقائمة طويلة جدا ولا يسع المقام لذكرها . لكنني فعلا أمتن لكل فرد وجدته عوننا في طريقي ، شكرا لكم جميعا ، وجزاكم الله كل الخير، وأشكر الله عزوجل أن سخر لي كل هؤلاء وسخر لي كل الظروف التي أوصلتني الى هنا. فالحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع لأمي و أبي هما سبب سعادتي وطمأنينتي بعد الله سبحانه و
تعالى، وأهديه أيضا لمشرفتي بو عجاجة سامية والأستاذة آسيا جريوي.

المقدمة

أدب الرحلة يعد من أقدم فنون أنواع الأدب، الذي تم تحديد مفهومه في وقت مبكر، ويعد من الموضوعات الشيقة الممتعة التي تناولها درس السردى الغربى ، وعلفه كان سبب اختىارى لهذا اللون الأدى سبب ذاتى، حىث أنه كلما غصت فله وجدته بحرا لانتضبت عجابته وأسراره ومعارفه ؛ فهو معلومات موسوعية، وأما السبب الموضوعى ،فكونه يعد وسيلة من وسائل التعرف على حضارة الأخر وطبعا وعاداته بل بسببه أدى الى دخول الكثرىن فى الاسلام ، فالرحلات الرسمية أو الديبلوماسية كالتى أداها ابن فضلان ، جعل من رحلته سببا فى تعلم الروس الاسلام منذ عهد بعيد جدا.

والمكتبة العربية تزخر بالعديد من المؤلفات الرحلية منها رحلة هذا الاخير الذى إختارنا تناوله بالدراسة تحت عنوان "أدب الرحلة وسيسولوجية السرد الحكائى لإبن فضلان" وذلك وفق خطة أشتملت على مدخل عام حول أدب الرحلة وفله اربع مباحث : مفهومه وأنواعه وأهميته وأشهر الرحالة ، ثم فصل أول وتناولت فله أيضا أربعة مباحث ، عرفت فله ابن فضلان ورحلته وأهم محطاتها وعصره، أما الفصل الثانى والأخير، وتناولت فله أهم الظواهر الأجماعية التى تناولت عادات وتقاليد حول الدين والطعام والنظافة والمعاملات المالية وغيرها فى رحلة ابن فضلان.

فمن هو ابن فضلان ؟ وماهى الرحلة التى اشتهر بها؟ وناهى الدوافع التى دعت إليها؟ وما العادات والتقاليد التى صادفها عند الأقوام التى مربها؟.

أما المنهج المتبع فقد إعتدنا على المنهج الوصفى التحليلى المناسب لدراسة هكذا موضوع.

وأهم المصادر والمراجع التى اعتمدنا عليها : رسالة ابن فضلان لإبن فضلان الذى حققه الدكتور سامى الدهان ، وكتب الرحلة لمحمد بن ناصر العبودى، الذى تناول الكثرى من المحطات الرحلية لروسيا فى العصر المعاصر.

وبالنسبة للصعوبات التى واجهتنا فتمثلت فى صعوبة الوصول الى المراجع المتعلقة بالموضوع، وبالإضافة الى فوضى المصطلحات ، لكنها رغم ذلك كانت سببا ودافعا نحو

التقدم للأمام والغوص بعيدا في ثنايا هذا البحث.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل للدكتورة الفاضلة المشرفة بوعجاجة سامية التي بفضلها تشجعت للمضي قدم لاجل إنهاء هذه المذكرة، وأيضا أشكرها لأنني لمست فيها الى جانب البعد العلمي الجانب الانساني ، الذي أنكر أنه فاجأني كثيرا، وحفزني على العمل من أعماق قلبي ، وجزاها الله كل خير.

واتمنى أن تكون المذكرة لبنة في صرح البحث الأدبي

الخطة

المدخل : الرحلة بوجه عام

- المبحث الاول : مفهوم أدب الرحلة

أولا : لغة

ثانيا : إصطلاحا

- المبحث الثاني : خصائص وعناصر أدب الرحلة

- المبحث الثالث : أهمية الرحلة ودوافعها وأنواعها

أولا : أهمية الرحلة

ثانيا : دوافع الرحلة

ثالثا : أنواع الرحلة

- المبحث الرابع : أشهر الرحالة العرب وكتبهم

الفصل الأول : ابن فضلان ورحلته

- المبحث الأول : عصر بن فضلان وخليفة المؤمنين

أولا : العصر

ثانيا : خليفة المسلمين المقتدر

- المبحث الثاني : توصيف رحلة ابن فضلان ودوافعها

أولا : توصيف الرحلة

ثانيا : دوافع الرحلة وأهميتها

- المبحث الثالث : ترجمة أحمد ابن فضلان

- المبحث الرابع : المحطات الكبرى للرحلة

أولا : الترك

ثانيا : الخزر

ثالثا : الروس

رابعا : الصقالبة

الفصل الثاني : سيسيولوجية السرد الحكائي في المرحلة (استخراج أمثلة)

- تمهيد عام

- المبحث الأول : المعتقدات والطقوس الدينية

- المبحث الثاني : عادات وطقوس الزواج

- المبحث الثالث : المعاملات المالية

- المبحث الرابع : مظاهر الطعام واللباس والنظافة

- المبحث الخامس : طباع وأخلاق

- المبحث السادس : الجنائز والموت

- المبحث السابع : أسلوب العيش

- المبحث الثامن : المرأة

- المبحث التاسع : اللغة واللهجات

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس

نحدثنا الاسطورة و يروي لنا التاريخ، و يكشف لنا البحث الاثري تباعا، الانسان حتى في العصور المتوغلة في القدم، كان ينتقل و يرتحل من مكان الى اخر، متبعاً، اما طريقاً بحرياً معيناً، و سالكا طريقاً برياً¹

1- مفهوم أدب الرحلة:

2- لغة :

بداية قبل التعرف على مفهوم أدب الرحلة، لابد من التعرف أولاً لفظاً الرحلة على المستوى اللغوي معجم لسان العرب صاحبه ابن منظور نجد: "والتَّرْحُلُ و الإِرْتِحَالُ: الانتقالُ، وَهُوَ الرِّحْلَةُ"، وأيضاً جاء فيه: "الرُّحْلَةُ و الرِّحْلَةُ : إِسْمٌ لِلإِرْتِحَالِ لِلْمَسِيرِ" وكذلك ورد فيه: "الرُّحْلَةُ السَّفَرَةُ الْوَاحِدَةُ"

وفي نفس المعجم أيضاً: "الرَّحِيلُ: القَوِيُّ عَلَى الإِرْتِحَالِ و السَّيْرِ"، و"الرَّحِيلُ : إِسْمٌ إِرْتِحَالِ الْقَوْمِ لِلْمَسِيرِ"².

أما في معجم القاموس المحيط للفيروز ابادي فنجد: "جَمَلٌ رَحِيلٌ : قَوِيٌّ عَلَى السَّيْرِ (...). وارتحلَ البعيرُ: سارَ وَمَضَى، والقَوْمُ عَنِ المَكَانِ: انْتَقَلُوا كَثْرًا حُلُوا".

وورد في نفس المعجم: "واسنَّ رَحْلَهُ : سَأَلَهُ أَنْ يَرَحَلَ لَهُ"³

ونعني بالرحلة عامة السفر، الذي يتوخى من ورائه الاطلاع على افاق جديدة، من المناطق المجهولة ، وقد يصل الأمر بصاحب الرحلة الى تسجيل اهم مايتعلق بها في تقرير يصبح وثيقة تاريخية وجغرافية وحتى أدبية⁴.

والرحلة عند حسين محمد فهيم، نوع من الحركة، ومخالطة للناس⁵، ولان الرحلة قديمة قدم الانسان ذاته، فهي تلعب دورا مهما في الكشف الجغرافي والاتصال بين الشعوب ومعرفة بالآخر خصوصا فيما يتعلق باللغة والعادات والتقاليد⁶.

ويمكن للرحلة ان تدون كتابة يحكي فيها الرحالة احدث سفره، وماشاهده وعاشه، مازجا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل اليهم⁷.

¹ نقولا زيادة، ينظر: من رحلات العرب، ج4، دط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1974، ص9

² ابن مطور، لسان العرب، ج24، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر 1981م، ص10-11-16

³ الفيروز ابادي، القاموس المحيط، تحقيق: انس محمد الشابي وآخرون، دط، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2008 ص26

⁴ عمر علوان امراني، سلسلة الندوات ع5، كلية الاداب، جامعة المولى اسماعيل، مكناس، المغرب 1993، ص13

⁵ حسين محمد فهيم، ادب الرحلات، ع138، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، 1989، ص15

⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص18

⁷ جميلة روباش، ادب الرحلة في المغرب العربي، كلية الاداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015

فنجد ان الرحلة قد يكون جغرافيا، او مؤرخا او مستكشفا او ادبيا ، وذلك حسب دوافعه وخلفيته العلمية، فهل معنى ذلكانه يمكن ان نجد الرحلة تسلك طريقها الى ميدان الادب؟

نجيب: نعم، فالرحلة ان قيدت بالتدوين يمكن دراستها وتحليلها بغية الكشف عن هويتها العلمية او التخصصية لاي ميدان هي تنتمي اليه سواء أكان ذلك ضمن ميدان الادب او الجغرافيا او التاريخ وغيرها من التخصصات والحقول المعرفية التي يمكن للرحلة ان نجدها فيه ، او ان تندرج تحته

وعليه فبحكم تخصصنا سنركز على الرحلة في ميدان الادب، فيبدو ان الجمع الموضوع اكثر متعة وجمالية ، فالادب بما هو مفهوم في جمالي ، والرحلة بما هي تجربة ومغامرة، يجعلان من منجز الرحلة وتدوينها شيئا جذابا ومشوقا¹.

وهنا دعونا نتطرق الى التعريف او المفهوم الاصطلاحي لادب الرحلة

3- اصطلاحا :

أدب الرحلة : من الفنون الشائعة في معظم البلدان، فهي حب الاطلاع ومعرفة مافي العالم من عادات واخلاق، ويقتضي التأليف فيها ثقافة واسعة ودقة الملاحظة، فالرحلة

ثرية تحتوي على معارف وعلوم تاريخية او جغرافية وفلسفية وغيرها²

ويعرف سعيد يقطين أدب الرحلة فيقول: " هو خطاب يوازي الرحلة ويسير في ركابها، حيث ان الخطاب أتى ليقوم بترهين فعل الرحلة التي حدثت في الواقع واعطائها طابعا لفظيا"³، اي تليظ الرحلة.

وفي الشبكة العنكبوتية نجد ان ادب الرحلة: هو نوع من الادب الذي يصور فيه الكاتب ماجرى له من احداث وماصادفه من امور اثناء رحلة قام بها لاحد البلدان⁴

فالرحلة إذن متأتية من الوصف للواقع، والسرد الفني للمغامرة الانسانية والعواطف والاحاسيس التي وتحرك البشر⁵.

حسنا هنا نجد ان الرحلة سرد فني ، فما المقصود بالسرد؟

¹ خالد التوازني، الرحلة وفتنة العجيب، ط1، دار لسويدي، الامارات العربية المتحدة، 2017، ص51

² جبور عبد النور، المعجم الادبي، ط2، دار العلم، بيروت، لبنان، 1984، ص121

³ ينظر: سعيد يقطين، السرد الغربي، ط1، دار الامان، الرباط، المغرب، 2012، ص181

⁴ أدب الرحلة، ويكيبيديا www.ar-m.wihikipedia.org، 21 فيفري 2021م، 57:15، ص409+

⁵ ينظر: جبور عبد النور، المعجم الادبي، ص122

فالسرد¹: * هو قصة او وصف يروي عن حديث خيالي او حقيقي او تجربة ما

* وايضا هو كتاب او اي عمل ادبي ضم ذلك الحدث او التجربة التي عيشت

* وهو كذلك تقنية او فن القص

فالسرد إذن هو طريقة يعتمدها المبدع او السارد او القاص يتقدم بها أحداثه في مشكل متون حكاية²، فالحكاية سرد يروي تفاصيل حدث واقعي او متخيل ، فالسرد من خلال هاته الشروحات البسيطة هو حكاية والحكاية سرد³.

و الرحلة من منظور السرديات صيغة لغوية لها سماتها السلوبية التي تميزها عن غيرها من الاشكال التعبيرية، فهي حكاية يسردها راوٍ محدد بصيغة و اسلوب محددين، و زمن معين و اشخاص و احداث و أمكنة، اذن فان ادب الرحلة شكل ادبي له خصوصياته الذي يشير الى اضافة نوع ادبي جديد للساحة الادبية.

و من اكثر ما يجعل النص الخاص بالرحلة يندرج ضمن ادب الرحلة دون غيره من الفنون الدبية كالسيرة الذاتية لأو المذكرات ثلا هو أنه يسبقه الهدف أو الدوافع التي دعت للرحلة من الأساس⁴، بمعنى أن الرحلة يسبقها هدف، إما بلوماسي أو سياسي أو ديني تسعى اليه الرحلة كما هو الحال في رحلة أحمدج بن فضلان الذي كان الغرض من رحلته لأجل أهداف محددة سنذكرها لاحقا.

و عموما فان السرد العربي يشكل صورة جلية لنمو الأشكال الشفوية المتحولة الى نص مكتوب من مؤلفات التراجم و السير و الطبقات و نصوص المقامات و الأخبار و الجغرافيا الوصفية⁵ و بالذات الذي يهمننا في هاته المذكرة هو أدب الرحلة.

فعندما يقال أدب الرحلة، فهو قصد واضح بانتساب هذا الفن الأدبي الى حقل السرد باعتباره كناية ادبية، يتوفر على مكونات سردية و آلية كتابية تسمح للتصنيف ان ياخذ مشروعيته في خانة الادبي⁶ و بهذا فان ادب الرحلة يعد واحدا من المظاهر التي فرضت نفسها من ينبوع البراعة السردية المصورة للمشاهد الواعية⁷.

1 نواف نصار، معجم المصطلحات الادبية، ط1، دار المعتز، عمان، الاردن، 2011م، ص156

2 شريط رابح، جماليات السرد العربي القديم، كلية الاداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2020 ص3

3 ينظر: معجم المصطلحات الأدبية، أبراهيم فتحي، د، ط، التعاضدية العمالية للنشر، صفا قس، تونس، 1986 ص140

4 تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، عبد العليم علي، د، ط، جائزة الطيب صالح، الدورة 8، 2018 م، ص9.

5 الرحلة في الأدب العربي، شعيب خليفي، د، ط، شركة الأمل، القصر العيني، 2002م، ص16.

6 ينظر: المرجع السابق، ص38.

7 أدب الرحلة سديرة سهام، مجلد 3، ع7، آفاق فكرية، د.ب، 2019م، ص252.

و نختتم هذا المبحث بقول أنيس منصور: " فليس في الدنيا أروع من السفر و ذكريات السفر"¹، و يقول سعيد علوش عن مفهوم أدب الرحلة: " هو دراسة صورة شعب، و يتتبع

عادات و تقاليد و تأثيرات إقليمية"².

II- خصائص و عناصر أدب الرحلة

بما أن خطاب الرحلة جنس ادبي سردي له قدرة هائلة على تمثيل الاحداث و يحقق التتابعية السردية الذي يخضع لخط سير السرد مع الزمن في تقدمه للامام و الذي يفترض بدوره وجود أحداث و شخصيات و أمكنة³ كما أسلفنا الذكر في المبحث السابق، فدعونا اذن نتعرف على أهم خصائص و عناصر أدب الرحلة:

1- السرد: ان الرحلة تنتهي الى العالم السردى، بما فيه تناوب سرد افعال، و وجود شخص رحالة ينجز تلك الافعال او يحكيها⁴، فانتقلت الرحلة من كونها فعلا يتجسد بحدوث الافعال في زمان و مكان معينين الى اعتبارها فعلا محكيا يختزل تجربة الفعل السابق و يدونه في شكل سرود بضمير المتكلم⁵.

فالكتابة الرحلية لا تنفك عن السرد، فهي تنقل احداث و افعال قامت بها الذات الكاتبة اي سارد الرحلة⁶، و بذلك تتحقق ادبية الرحلة بتحقيق اهم بعد سردي لها ضمن تتابع زمن السرد، فيتقدم و يتراجع وفق تاريخ متسلسل لتدل على سجل للاحداث دون الاعتماد على تفسيرها و تحليلها⁷.

و الرحلة مع هذا التتابع الزمني للافعال يقتضي وجود بداية و وسط و نهاية للأحداث، وفق خط سير الزمن الذي يعتمد أشد الاعتماد على توظيف الافعال، خصوصا الماضية المناسبة للحكي عن أحداث تمت و سبقت ي الماضي، و هذا كله يحقق التتابع الزمني.

فرحلة أحمد بن فضلان من الجملة الأولى تبدأ بداية سردية، حيث ذكر لنا الأسباب و

¹ أنيس منصور، حول العالم في 200 يوم، د، ط، د. ب، دت، ص 23.

² ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، ط1، دار الكتاب، بيروت لبنان، 1985م، ص 98.

³ ينظر: عبد العليم علي، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، ص 10

⁴ ينظر: سديرة سهام، أدب الرحلة، ص 225.

⁵ ينظر: جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، ص 18

⁶ ينظر: عبد العليم علي، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، ص 15

⁷ ينظر: معجم المصطلحات الأدبية، ابراهيم فتحي، ص 75.

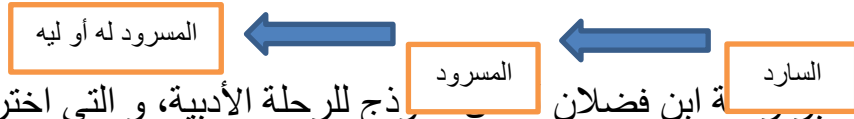
الدوافع و الأهداف الداعية لرحلته، و قد وظف حروف العطف كالفاء و الواو و ثم لتحقيق التتابع و الربط بين الأفعال لتحقيق حركة منطقية للأحداث أثناء سردها، و أيضا اعده على تحقيق تتابع السرد توظيفه لتقنية الحذفو التلخيص ببراعة شديدة.

ثم رحلنا (ف.ماض)..... فأقمنا(ف.ماض)

تتابع في الزمن يخلق حركة داخل سرد الرحلة

و من أهم تقنيات السرد التي تعد أحد الابعاد السردية لتحقيق أدبية الرحلة، تتمثل في الراوي الذي لا يستغني عنه لأنه مراوحة بينه و بين الوصف و الحوار أيضا¹.

فلا بد اذن توفر ثلاث عناصر للرحلة من راوٍ أو سارد الذي ينقل لنا الرحلة و يحكيها لنا رحلة و قارئ أو مسرود له:



و البربرية ابن فضلان ² و ذج للرحلة الأدبية، و التي اخترناها لتكون موضوعا للدراسة، في هاته المذكرة التي بين أيدينا، و السبب في كونها أفضل أنموذج للرحلة الأدبية يعود لصيغتها السردية المتماسكة من بدايتها الى نهايتها²، و يأتي الوصف خادما أو جنبا الى جنب للعملية السردية، فما هو الوصف؟ و ما هو دوره في أدب الرحلة؟

2- الوصف: من أهم خصائص و عناصر أدب الرحلة، توظيفه لتقنية الوصف، و التفصيل، لأن الرحالة من خلاله ينقل لنا الصور و المشاهد على نحو يحقق التأثير الوجداني، فهو يصف عالمه و العوالم المحيطة به و وصفه لعادات الأمم و الشعوب و طباعها و ديارها³.

و الوصف يعرف بأنه شكل من أشكال القول يُنبئُ عن كيفية ظهور شيء ما، و كيف يكون مذاقه و رائحته و صوته و شعوره، و يشمل استعمال الكلمة أيضا، و الاشياء، و الناس و الحيوانات و الأماكن و الأمزجة النفسية و الإنطباعات، فالوصف يصف كل ذلك من خلال وقف حركة السرد التي يقتضيها التتابع وفق خط سير الزمن.

و بكون الوصف في أشد أحواله فاعلية تأثيرا، حينما يستخدم في فقرات قصيرة تسهم في الشرح و السرد⁴.

فالوصف هو ابراز معالم الشيء و تمثيله بذكر نعوته و صفاته و تفاصيله، هو إخبار عن حقيقة¹.

¹ عبد العظيم علي، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، ص37.

² ينظر: المرجع نفسه، ص11، ص12

³ ينظر: سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة، د.ط، دار غريب، القاهرة، مصر، د.ت، ص7

⁴ ينظر: ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ص406، 407.

فالوصف اذن مرتبط بالموجودات و الطبيعة و لانسان و الحيوان، و وصف الاخلاق و الطباع و العادات، بل قيل لعله فهم على ان الادب وصف كله².

و لابد من التنبيه: أن النمطان السردى و الوصفى، من أبرز ما يميز أدب الرحلة الذي هو تنوع بين الأسلوبين معا³.

فالسرد يعتمد على تتابع الاحداث ضمن أفعال ماضية عادة، تدل و تساهم في الحركة التي تحدث في ثنايا قص الرحلة، فتعر أنك قد سافرت و جربت الأحداث التي عايشها الرحالة نفسه، تشعر بنوع من الحياة و الحيوية، وأن صورة الرحلة حية تتفاعل، بعكس النمط الوصفى، فهو يجعلك تتوقف عند موقف او محطة معينة كي يحيطك علما بجوانبها التفصيلية، كأن يصف شجرة، او شخصا مع ملامحه، او منزلا مع حجمه وتصميمه، أو أي شئ ضمن صورة ثابتة ، جامدة، حتى كأن من خلال وصفه، ترى الموصوف أمامك.

3- الانطباعات: من اهم ما يميز خصائص ادب الرحلة، هي تلك الانطباعات و الاحاسيس، والعواطف التي تكونت داخل خلجات السارد الرحلة أثناء رحلته⁴.

و يعد كل من الوصف و الانطباعات في ادب الرحلة ذا قيمتين بارزتين، كون الاول منهما اي الوصف ذو قيمة علمية، إذ يصف لنا المشاهد وصفا حقيقيا، موضوعيا، الثاني اي الانطباعات، ذو قيمة أدبية لأنها تصور الاحاسيس والمشاعر لدى السارد او الذات الرحلة.

4- النزاعة القصصية واسلوب الكتابة : في هذا اللون الادبي اي أدب الرحلة نلتمس وجود النزعة القصصية، ويعد أمرطبيعي للرحلة، ومايتخللها من حوادث ومواقف تستحث الرحلة الى تسجيلها وتدوينها، وصياغتها في اسلوب قصصي يعتمد الاثارة والتشويق في كثير الاحيان، فالرحلة في حد ذاتها قصة وان لم تتوافر فيها خصائص القصة فهي تشاركها في بعض منها، فان أدب الرحلة فن يقترب من فن القصة⁵.

وادب الرحلة يعتمد كذلك في اسلوبه، على بعض المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ

وحسن التعبير، فمع النزعة والاسلوب القصصي السلس و ارتقاء الوصف وتتابع السرد عدّ هذا اللون أدبيا لا جغرافيا مثلا.

1 ينظر: سامي الدهان، الوصف، د.ط، دار المعارف، د.ب، دت، ص5.

2 ينظر: دراسات في الأدب الجاهلي، سعد بوفلاقة، د.ط، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006م، ص115

3 ينظر: سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة، ص7

4 ينظر: WWW.ALLUGAH.COM

5 ينظر : سيد حامد النساج ، مشوار كتب الرحلة ، ص8-9

وتتسم كتب ادب الرحلة بالشمولية والتنوع، حيث تشمل موضوعاتها التاريخ والجغرافيا والدين ، وعلم الاجتماع والسياسة، وغيرها....

4- توظيف القران الكريم والحديث الشريف والشعر:

ف نجد عادة الرحلة يستشهدون في كتاباتهم الرحلية، أحد هاته الثلاثية، اوجميعها او معظمها، وهذا ملاحظناه اثناء قراءتنا لرحلة أحمد بن فضلان، وهذا ولَدَ لدينا إنطبعا عنه بأنه شخصية ملتزنة متدينة، بل وعثرنا في كتاب رحلة أحمد ابن فضلان في الصفحات التي تسبق ذكر رسالته، ماقله سامي الدهان بانه قد افاده ادب القران والحديث في اسلوبه، فاقتبس منها¹.

ولا يمكن انكار القيمة الادبية لرسالة ابن فضلان، واسلوبها القصصي السلس ، ولغتها الحية المصورة، التي لاتخلواحيانا من بعض الدعابة التي ربما لم تكن مقصودة²

اهمية الرحلة ودورها وانواعها

1- أهمية الرحلة :

الانسان العربي لطالما عرف عنه اخبار التاريخ الشعراء والادباء بانه كثير الترحال سواء كان فردا او من خلال جماعات على شكل قبائل تعيش داخل خيام يسهل نقلها من مكان الى اخر، بل ودليل قوي على ثقافة الترحال التي ميزت العرب القدماء كثيرا.

فالرحلة والسفر عموما قد رغب في القران الكريم كثيرا وقد وردت فيه ايات تحدثت عن الرحلة والسفر ففي سورة الانعام يقول : الله تعالى [قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ] 11³

ويقول سبحانه وتعالى في موضع اخر من سورة الملك [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا] 15⁴

ويقول ايضا عز وجل [أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ] 109⁵ من سورة يوسف

وفي سورة الاسراء [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] 70¹

¹ ينظر: أحمد بن فضلان، رسالة ابن فضلان، تحقيق: سامي الدهان، دط، دمشق، سوريا، 1959م. ص29
² ينظر: تاريخ الادب الجغرافي العربي، اغناطيس كراتشكوفسكي، ترجمة: صلاح عثمان هاشم، دط، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1963م، ص186

³ سورة الانعام، الاية 11

⁴ سورة الملك، الاية 15

⁵ سورة يوسف، الاية 109

وهي آيات ودعوات صريحة من الله تعالى الى المسلمين للسعي في الارض والسير فيها برًا وبحرًا².

بل في سورة قريش ذكر لرحلتين معروفتين هما: رحلتنا الشتاء والصيف، فيقول الله تعالى [إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ] ³[2]

فالرحلة تلعب دورا مهما للكثير من الاسباب فهي:

1- تع رافدا مهما للمعرفة التاريخية، شرط ان تمحص نصوصها وفق منهج البحث التاريخي الرصين، لما فيها من معلومات تاريخية قيمة فهي بمثابة وثائق تاريخية مهمة

2- والرحلة عنصر هام من عناصر البناء الثقافي للامة الاسلامية، للدور الذي لعبته في اصال العلوم والمعارف، الت حدثت بفعل التواصل، والاحتكاك الحضاري بين مختلف البلدان والامم⁴.

3- وقد اسهمت الرحلة في المعرفة الجغرافية، خاصة لما كانت الحاجة لمعرفة سير الطرق والمسالك، بي مختلف بلدان وامصار الخلافة الاسلامية المترامية الاطراف وبين الامم المجاورة لها، وهنا يظهر ويكمن اهمية الرحلة في الجانب الجغرافي

2- دوافع الرحلة

تعددت اهمية الرحلة ليس من الغريب ان تتعدد الدوافع والاهداف التي تشجع المرء على تجربة السفر والترحال والتنقل، فنجد من الدوافع⁵:

أ- دوافع دينية : تمثلت في الحج والعمرة، فهاته الشعيرة الدينية والركن الاساسي من الاركان الخمس للاسلام، بطريقة ماتعد من الرحلات لانها تستلزم سفرا وتنقلا ومشقة وجهدا وقدرة ومالا، فهي تقتضي السفر والترحال من مختلف اصقاع الدنيا، فنجد مختلف الشعوب والاجناس التي أسلمت تأتي طواعية ومحبة وشوقا، لاداء هذا الركن الهام، طمعا للظفر بالمغفرة واستجابة الدعاء والشفاء، وغيرها من المطامع المشروعة التي يتوج بها المخلوق لله سبحانه وتعالى فتهون مشقة رحلة الحج أمام هاته الغنائم.

ب- دوافع تجارية: فالمسلمون كانوا اصحاب تجارة وامانة، وقد سافروا وارتحلوا لمختلف البلدان، للتبادل التجاري، باستبدال البضائع الداخلية، بالمنتجات والبضائع والسلع

¹ سورة الاسراء، الاية 70

² ينظر: فؤاد قنديل، ادب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربية، القاهرة، مصر، 2002، ص30

³ سورة قريش، الاية 02

⁴ نوفل نوري، الروايات التاريخية في الكتابات الرحلة المسلمين، مجلة ابحاث كلية التربية، قسم التاريخ، المجلد 11، ع1، جامعة الموصل العراق 2011م، ص251، 250

⁵ ينظر: المرجع السابق، ص251

الدول الاخرى المسافر اليها فجدهم يتبدلون منتجاتهم معهم بالحرير والتوابل والعبيد وغير ذلك مع الصين او الهند وحتى اوروبا.

ج – دافع ثقافي : تمثل في طلب العلم والمعرفة والحكمة من الامم والحضارات الاخرى، كالفارسية والهندية والصينية وحتى الرومانية واليونانية، فنجد البعثات تعلمية للطلاب وحركة الترجمة التي ترجمت كتب ومعارف، لم تكن لتكون لولا هؤلاء المرتحلون الذي تكبدوا مشقة الغربة والترحال في سبيل متعة العلم والتعلم.

ولذلك ذاع صيت ابناء المسلمين في جميع مجالات العلوم المختلفة من فقه وطب وهندسة وعمارة وغيرها¹.

د- دوافع سياسية ودبلوماسية : وهي دوافع التي كلف اصحابها بالقيام بها بناء على امر وطلب من خليفة المؤمنين²، او ولاة الامر، وهو ما سنراه في ثنايا هاته المذكرة لما نتحدث عن رحلة أحمد بن فضلان، التي كانت رحلة رسمية الى الملك الصقالبة ، او كالوفود والسفارات لتبادل الراي وتوطيد العلاقات او تمهيدا للفتح او لمناقشة شؤون الحروب³.

هـ - دوافع إستكشافية : فهي عادة دوافع ذاتية تتولد بناء على شغف وحب الرحلة نفسه للمغامرة، واكتشاف الاخر، سبر اجواء المجهول، امثال ابن بطوطة، وابن حوقل وغيرهما.

و – دوافع ترفيهية: الرحلة في حد ذاتها رغم المشقة والتعب بسبب السفر الا انها تعد ترويحاً عن النفس وتطيبها لخاطرها، وتعديلاً لامزجياتها، وتنويراً وتفتيحاً للفكر

ي – دافع او اعتبار أمر الله : بالسير في الارض، لقوله سبحانه وتعالى [سروا في الارض ثمّض لنظروا⁴]، فهو امر يدفع بالانسان لتجربة السير والسفر، لمعرفة ماضي الامم والوقوف والنظر الى اثارها وماحدث معهم، امثال تلك الاقوام التي نالت العقاب، وقد ذكرت في القران الكريم، لاجل الاتعاظ لتحسين السلوك نحو كل ما هو خير وطيب ويرضي الله تعالى.

ز – دوافع صحية : كالسفر للعلاج، او الاستشفاء وأراحة النفس من الوان العناء، وتخليصها من السموم التي تصيبها من المدن والهرب بعيداً، نحو الناطق الريفية ونحوها، وقد يكون هرباً من باء، او طاعون او تلوث⁵

3- انواع الرحلة:

¹ ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص19

² ينظر: نوفل نوري، الروايات التاريخية في الكتابات الرحلة المسلمين، ص251

³ ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص20

⁴ سورة الانعام: الاية11

⁵ ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص20

وبناء على ما سبق يمكننا استنتاج انواع الرحلة تبعا للدوافع فنجد :

أ - رحلة دينية كالحج والعمرة

ب - رحلات تجارية كرحلتى الشتاء والصيف المشهورتين

ج - رحلات جغرافية لاجل وضع خرائط ومسالك لاراضي الرقعة الجغرافية للدولة الاسلامية.

د - رحلة علمية : فالخلافة الاسلامية خاصة في العصور الماضية كانت امة علم، وثقافة متطورا جدا.

هـ - رحلة ترفيهية: للترويح عن النفس، فالعقل السليم في الجسم السليم والعكس صحيح.

إذن : فقد تعددت الدوافع والغايات من الرحلات، وتنوعت، لتصبح لاحقا مواضعا ومادة ثرية يتناولها ويدونها الرحلة بنفسه، او بواسطة غيره في مصنفات وكتب، تدخل ضمن مايعرف بادب الرحلة، فمن هم اشهر الرحالة العرب واهم كتبهم الرحلية؟

وهذا ما سنتعرف عليه في المبحث القادم.

IV- أشهر الرحالة العرب وكتبهم

اهتم العرب بوصف البلاد التي دخلت مع الفتوحات الاسلامية، وتكلموا عنها في كتاباتهم، وخاصة ان القران الكريم قد حثهم الى النظر للامم السابقة.

واتبعوا طريقة ممتعة في سرد ووصف عالمهم والعوالم المحيطة بهم من الامم الاخرى، فتحدثوا عن عاداتهم وطباع شعوبهم، واثارهم، واساطيرهم وخرافاتهم وحتى علومهم وثقافتهم، وقد اعتمدوا على المشاهدة وحكاية ما رأوه¹.

والمكتبة العربية تزخر بالعديد من كتب الرحلات القيمة والمهمة، ومن بين تلك الكتب نرصد مجموعة منها مع اصحابهم.

فكتب الرحلات هي تعبير عن اعماق الاخرين واعماقنا نحن واعماق هذه الدنيا لذلك كانت ارواح الرحلات هي ايضا تلك التي نقوم بها في رحلات الاخرين نرى بعيونهم ونسمع باذانهم².

والرحالة لهم فضل كبير بقيامهم بهاته الرحلات التي خدمت العلم كما خدموا بها الفتوحات الاسلامية³.

ويمكن اعتبار القرن 09 م، بداية التأريخ للرحلات العربية المكتوبة⁴، حيث تالق ادب الرحلة منذ القرن 3 هـ الى قرن 8 هـ، اي بالضبط من القرنين 09 الى 14 الميلاديين ، وهي تعد المرحلة الاعظم في مسار هذا النوع من الجنس الادبي، الرحلة هي حركة والحركة روح الحياة، وهي سيمة اساسية في التركيب الجسدي والنفسي للانسان⁵، فلننطلق الان بالتعرف على اشهر الرحالة العرب وكتبهم سواء كتبوها بانفوسهم او كلفو غيرهم بتدوينها على طلب منهم او دون طلب.

1- ابن حوقل وكتابه " المسالك والممالك": فهو جغرافي من القرن العاشر ميلادي ، نعم لقد قرا لسابقه كتب جغرافية واحب هذا العلم وغرم ان يالف كتباً بنفسه ولا يكون مما سرده الناس، ولا مما قراه ، بل مما اهده شخصيا لذلك فقد قام برحلة قد دامت حوالي 30 سنة، بعدها الف مؤلفه الشهير هذا.

فقد سرد لنا ابن حوقل و وصف لنا البلدان التي زارها وصفا دقيقا، يعطينا معلومات طريفة عنها و معلومات مفيدة أيضا، فقد وصف لنا ما فيها من أبنية و أسواق حمامات، و مطاعم و ملابس و حتى المساجد⁶.

2- المقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم": يراه بعض المستشرقين أعظم الجغرافيين عند العرب في جميع عصورهم، فقد عاش في القرن 10 ميلادي، و كان مولعا بالكتابة في الجغرافيا، فتنقل في ربوع العالم الاسلامي و كتب مؤلفه هذا، الذي اهتم

1 ينظر: شوقي ضيف، الرحلات، ط4، دار المعارف، القاهرة، مصر 1987، ص11-12

2 ينظر: انيس منصور، اعجب الرحلات في التاريخ، د.ط، ج1 سلسلة جدران المعرفة، 2006، ص9

3 ينظر: شوقي ضيف، الرحلات ص09

4 شعيب حليفي، الرحلة في الادب العربي، ص05

5 ينظر: شعيب حليفي، الرحلة في الادب العربي، ص12-14

6 ينظر: شوقي ضيف، الرحلات، ص12.14.

فيه اهتماما شديدا بالحديث عن اختلاف اهل و سكان البلدان الاسلامية من لغاتهم و لون بشوتهم و اموالهم و مأكولاتهم و مفاخرهم، و عيوبهم، فقد عدد اوصاف كل بلدة و ذكر اقاليم العالم الاسلامي.

3- الادريسي و كتابه الشهير "نزهة المشتاق في اختراق الافاق": يعد الادريسي اكبر جغرافي في بلاد المغرب و الاندلس و قد كان على اتصال بالامير روجر الثاني الذي كان هذا الاخير مولوعا بالعرب و اتقنوه من معارف و كلاهما صار صديقا و صاحبا للاخر، و من هنا عرف روجر الثاني قدرة الادريسي و براعته في رسم الخرائط و مهاراته في علم الجغرافيا، و طلب منه تأليف كتاب لذلك، فما كان من الادريسي ان ارسل طائفة من الرحالة الى بلدان اخرى مختلفة و امصار عديدة، ليحضروا له معلومات و تقارير لما عاينوه و شاهدوه ليضيف على ما شاهدوه ما شاهده هو بنفسه في هاته البلدان، و جمع اكثر ما كتب في هذا العلم و جعله مادة لتأليف مؤلفة و قد زود كتابه بـ 71 صورة فلذلك عد من أهم و أعظم الكتب في العصور الوسطى¹.

4- القزويني و كتابه "آثار البلاد و أخبار العباد": فقد عاش القزويني في القرن 7 هـ و يعد كتابه من أطرف الكتب الجغرافية عند العرب، وهو لايهتم فيه بالمسالك وانما كان مهتما بحال البلاد والناس، وهو لم يقف فحسب عند حدود المملكة الاسلامية، بل تجاوزها الى ذكر البلدان الاوروبية وحتى الافريقية منها والاسيوية.

5- ابو حامد الاندلسي: في كتابه "تحفت الاصحاب ونخبت الاعجاب": عاش اكثر حياته في القرن 6 هـ ، وقد شغف بالرحلة فزار شمال افريقيا وصقلية ومصر والشام والعراق وبلاد البلغار على ضفاف نهر الفولغا، وبلاد الصقالبة ، وقد دون مشاهدتها عنها.

6- ابن جبير: ففي رحلته قص ما شهده في طريقه الى حجه وعودته منه ورحلته مكتوبة بشكل مذكرات يومية ومع كل مشهد وكل بلدة التاريخ باليوم والشهر، ويبدو انه كتبها منفصلة فهو لم يجمعها بنفسه بل بعض تلاميذته من قاموا بذلك ونشرها بعد وفاته ، باسم "تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار"² ، وفي الحقيقة قدم ابن جبير وصفا حيا للحياة الاجتماعية والثقافية لبلاد الشام وعن عمرانهم وبنيانهم³.

7- ابن بطوطة ورحلته من طنجة بالمغرب: فقد اعجب به السلطان ابو عنان بما يرويه ويحكيه من طرائف الاخبار وغرائب الاسفار، وقد امر كاتبها له أن يروي عنه رحلته، لكون هذا الكاتب ابن جزى كان أدبيا بارعا، فأخرج الرحلة في مشكلها المعروف⁴ و

¹ ينظر: شوقي ضيف، الرحلات، ص15،16،17،20

² ينظر: شوقي ضيف، الرحلات، ص21،51،71

³ عبد الواحد ذنون طه، الرحلات المتبادلة بين الغرب الاسلامي والمشرق، ط1، دار المدار الاسلامي، بن غازي

ليبيا، 2005 ص129

⁴ ينظر: شوقي ضيف، ص97

الموسوم بـ "تحفة النظر في غرائب الامصار و عجائب الأسفار" لقد لقب ابن بطوطة بأمير الرحالة المسلمين، لأنه أشهرهم و لأن رحلته استغرقت ما يقارب 30 عاماً، و قد اشتهر له من عالم الأسفار رحلات ثلاث، و تميز أيضا بحبه للتجوال الذي كان متأملا فيه.

و كتاب ابن بطوطة في الحقيقة، ليس فقط ما تناوله ابن بطوطة من أسفاره و رحلاته، بل أضيف له ما نقله الرحالة قبله من أمثال ابن جبير¹.

و نلاحظ في الكتب السابقة أنهم لم يركزوا على أحوال الشعوب فقط و انما شعر أن ميدان الجغرافية يطغى على مؤلفاتهم، و بحكم التخصص الذي نحن ملزمون به فإن أفضل الرحالة الذين فعلا نجد ثنايا كتبهم ما هو أفضل من مثل الرحلة الأدبية هو أحمد فضلان و هو موضوع دراستنا و تركيزنا عليه، و ما الداعي لقيامه برحلة تعد ذا قيمة في العديد من النواحي؟ و ما هي المواضيع التي تناولتها؟ هذا ما سنعرفه في الفصلين اللاحقين.

¹ ينظر: جورج غريب، أدب الرحلة، ط1، دار الثقافة سلسلة الموسوع في الأدب العربي 7، بيروت، لبنان، 1966، ص 58،98.

الفصل الاول : ابن فضلان ورحلته

المبحث الاول: عصر ابن فضلان وخليفة المؤمنين

اولا: العصر

ثانيا: خليفة المسلمين المقتدر

المبحث الثاني: توصيف رحلة ابن فضلان ودوافعها

اولا: توصيف الرحلة

ثانيا: دوافع الرحلة و اهميتها

المبحث الثالث: ترجمة احمد ابن فضلان

المبحث الرابع: المحطات الكبرى لرحلة

اولا: الترك

ثانيا: الخزر

ثالثا: الروس

رابعا: الصقالبة

I - عصر ابن فضلان و خليفة المؤمنين:

قبل تناول العصر الذي عاصره ابن فضلان و خليفة المسلمين عليهم آنذاك، نشير الى ملاحظة مهمة حول كتب الرحلة عموما التي قد سبقت ابن فضلان، أنها أوجزت حين رسمت احوال الشعوب و تقاليها و ملابسها و لمك تبسط ولم تفصل عكس ما هو موجود عند بن فضلان في تدوينه لرحلته.

1 - عصر ابن فضلان:

لشعب العربي مفطور على حب الرحلة و السفر، فالتاريخ يشهد تنقلاته و أسفاره، في سبيل الرزق و التجارة و المعرفة فقد كان ذكر رحلاتهم محفوظا في أشعارهم، فنجد رحلات الشعراء الى الحيرة و دمشق و بلاد الروم حتى قيل أنه قد بلغ امرؤ القيس القسطنطينية، و نسب إليه شعر قاله في أنقرة¹.

و مع مجيئ الإسلام و العمل على مبدأ الفتوحات الاسلامية تحتم وجود رحلات الى بلاد بعيدة، بغية فتحها أو التجارة فيها، أولا لأجل العلم و ترجمة معارف الشعوب الأخرى، فبدأت تتأسس معالم الحضارة الإسلامية شيئا فشيئا، فقد وجدت أسسها و اصهرت بين الشعوب العربية و امتزجت و اختلطت مع الشعوب المفتوحة، فساهمت عوامل و ظروف على هذا المزج الذي وحد مؤهلاتهم و خلفياتهم، مما أهل و أوجد حضارة تحمل سماتهم جميعا من عرب و فرس و عجم و روم.

و استمرت الحضارة الاسلامية ما يقرب من ألف عام، أي معظم العصور الوسطى، و قد حدث لها تطور خلال حقبتها الطويلة هذه² ، لكننا هنا سنركز أو نسلط الضوء على العصر الذي كان فيه أحمد بن فضلان و هو العصر العباسي.

فبعد سنوات طويلة من الكفاح المذهبي و العسكري في السر و العلن، نجح العباسيون في القضاء على الخلافة الأموية، و إعلان دولتهم ي سنة 750 م³، و يقابل بالهجري 132 هـ.

و قد تولى الخلافة العباسية سبعة و ثلاثون خليفة، بدأت بالسفاح و انتهت بالمستعصم على يد هولاكو التتري المغولي ، و تميزت الحضارة الاسلامية في هاته الفترة المقابلة لما يصطلح عليه بالعصور الوسطى بخصائص ميزتها ن الامم الأخرى يمكن إجمالها في الوجدانية المطلقة لله سبحانه، و النزعة العقلانية، و طابع التسامح و الانسانية و التوازن بين الماديات و الروحانيات، و هذا كله بفضل تعاليم الدين الاسلامي⁴.

¹ ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، 13، 16.

² ينظر: عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، ط7، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1996، ص20، 7.

³ ينظر: خالد الصايغ، النقود الإسلامية، د.ط، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الامارات المتحدة، 2002م، ص13، 16.

⁴ ينظر: ينظر: محمد مؤنس عوض، في رحاب الحضارة الاسلامية، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2010، ص22.

و قد كانت بغداد مدينة السلام في القرن العاشر الميلادي العصر الذي ظهر فيه أحمد بن فضلان، من أكثر مدن الدنيا حضارة و كان يعيش أكثر من مليون مواطن بها¹.

و كان عرب بغداد في عصره مسلمين شديدي التمسك بدينهم، و لكنهم كانوا في نفس الوقت منفتحين على شعوب تختلف عنهم في المظهر و العادات و المعتقدات².

و هذه الحضارة المتطورة و القوية، نذكرها لأجل ان نرى أثرها على ابن فضلان، حيث أنه سيستصغر أحال الممالك التي رآها في رحلته، خاصة في أوروبا، و هذا الأمر سببه بما يحدث في العصر الحالي حال الغرب و نظرتة للدول المختلفة أو غير المتطورة³.

اذن فقد كانت سمعة بغداد في الخارج عظيمة، يتهافت الملوك و الأمراء عليها من شتى الأمم، لأجل عقد أوثق الصلات و المحالفات.

و قد كانت خزائن الدولة الإسلامية مليئة عن آخرها فقد كانت تحمل اليها حمول الذهب و الفضة من أطراف الأرض⁴، و مختلف الممالك و الدول.

2 - خليفة المسلمين المقتدر:

هو أبو الفضل جعفر المعتضد، أمه رومية و قيل تركية، و قد بويع خليفة للمسلمين سنة 295 هـ و عمره 13 سنة، و يلقب بالخليفة المقتدر بالله، و قد قيل عنه أنه كان سمحاً، كريماً، كثير الانفاق و خزائنه مليئة بالجواهر المتنوعة النفيسة و الاف الخدم من الروم و السودان، و كان المقتدر بالله جيد العقل، صحيح الراي من الناحية و من ناحية اخرى كان يشرب و مبذراً، و قيل قد تدخلت الناس في حكمه⁵، بسبب صغر سنه و استحواذ والدته و نساءه و خدمه عليه و على الحكم.

لكن رغم ذلك، فقد كان وزراءه في المحافل الدولية في الخارج كما تبين كتب التاريخ، دورهم في اعلاء شان الحكم و حل السلطان و الخليفة⁶.

وكان الخليفة المقتدر بالله هو من ارسل احمد بن فضلان في رحلة دبلوماسية الى ملك الصقالبة بناء على طلب هذا الاخير، و هذا دليل على مدى قوة و هيمنة الحضارة في بغداد في ارجاء المعمورة، فكل معالمها تدل على ترف و الغنى و الثروة و الرخاء و المتعة و القوة التي تزخر بها، بل لربما لو وضعنا مقارنة على ماكانت عليه بغداد منذ عشرة قرون، و ما عليه أغنى عواصم الملك اليوم في الغرب فانه بكل تأكيد سترجح كفة بغداد رغم البعد الزمني⁷.

¹ ينظر: مايكل كرايتون، أكلة الموتى، ترجمة: تيسير كامل، ط2، دار الهلال، الإسكندرية، مصر، 1999م، ص15.

² ينظر: أحمد عبد السلام البقالي، مغامرات سفير عربي، ط1، مكتبة العبيكات، الرياض، المملكة ع السعودية، 2003م، ص11.

³ ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص22.

⁴ ينظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الاول، ج3، ط8، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1996 ص45

⁵ ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ط2، دار المنهاج، بيروت، لبنان، 2013م، ص575، 594

⁶ ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص18-19

⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص21.

وقد دامت فترة حكم المقتدر بالله منذ سنة 295 هـ الموافق ل908م الى غاية 320 هـ الموافق 932م¹.

والان دعونا نتعرف على المهنة الدبلوماسية التي كلف بها الخليفة المقتدر بالله احمد بن فضلان ، فما هي دوافع الرحلة الدبلوماسية المنوطة اليه؟، ومن رافقه طول الرحلة؟، ومن هاته الشخصية التي جعلها الخليفة على راس هاته المهمة؟، هذا ماسنحاول الاجابة عنه في المباحث الموالية.

II- توصيف رحلة ابن فضلان دوافعها

1- توصيف الرحلة ورسالة ابن فضلان:

تعد رحلة ابن فضلان المكتوبة عبارة عن رسالة او وثيقة، كتبها بعد عودتهم من رحلة كلف بها من قبل الخليفة المقتدر بالله ، لاجل تسليمها اياه يسرد فيها أحداثها وعادة تعتبر الوثيقة عبارة عن ورقة مكتوبة او مطبوعة تقدم اعلاما وشهادة ، هذا حسب ماورد في معجم المصطلحات الادبية لابراهيم فتحي²

وقد كتب مخطوط الرسالة بخط النسخ، وفي كل صفحة منها 19 سطرا، اخرها مبتور مخروم، وبالتالي فان الرسالة لم تكن كاملة للأسف.

وفي رسالة أحمد بن فضلان تفاصيل دقيقة، فقد تحدد لنا تاريخ انطلاق الرحلة، وایامها وخط سيرها ،ورسمت معالم المحطات التي توقفوا عندها، والاقوات التي قضوها في كل مدينة وقرية³

رحل الوفد من بغداد يوم الخميس 11 صفر 309 م، الموافق ل21 حزيران 921م.

ورسالة أحمد ابن فضلان من حيث المنهج اشبه بالقصة لكنها لاتندرج تحتها حيث تتشابه معها من حيث تماسك حلقاتها واحداثها، متشابكة متصل اولها باخرها وهذا لدور السرد الذي لعبه في تشكل نص الرحلة، فابن فضلان لانراه يذكر درجات الطول والعرض ومواقع البلدان كما يفعل ذلك الجغرافيون، لذلك هو يبتعد عن اسلوب الاديب، ولا يقترب من اسلوب الجغرافي، فحتى المستشرقين لما اتخذوا من الرحلة موضوعا لترجمتها ونقلها الى لغاتهم، راوها كقطعة من الادب الرائع الذي ينتمي لادب الرحلة⁴.

وقد اكتشفت ورقتين مصورتين من النسخة الخطية لرسالة ابن فضلان في مدينة مشهد(طوس) الايرانية ، وقد اشار الى هذا مقال بالروسية للتعريف بالنسخة الخطية المكتشفة سنة 1924م ، وتجدر الاشارة الى انه قبل التوصل الى اكتشاف مخطوطة مشهد، فان النقولات التي قام بها ياقوت الحموي في معجمه (البلدان) عن رحلة ابن

¹ ينظر: خالد الصايغ، النقود الاسلامية،ص15

² ينظر. ابراهيم فتحي، معجم المصطلحا الادبية، ص403

³ ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص48،25،

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص28،28،25.

فضلان¹، وهي قادت المستشرقين والباحثين، للاهتمام بابن فضلان، محاولين العثور على نسخة من عمله، وهو ماتوصلوا اليه أخيراً، فهذا ما اشار اليه شاكر العيبي في تقديمه حول رحلة ابن فضلان

وتعتبر مهمة جمع وتصفية وتحقيق نصوص الرحلة الممتدة عبر ازيد من الف سنة، والمكتوبة بالعربية واللاتينية والالمانية والفرنسية والدانماركية والسويدية والانجليزية مهمة شاقة فقد تولى الاستاذ فراوس دولوس بجامعة اوسلو بالنرويج هاته المهمة².

ويجزم بان رسالة ابن فضلان ليس كاملة، الا ان المجمع العلمي الفربي في دمشق قد طبع جزء صالحا منها، بتحقيق الدكتور سامي الدهان، الذي لم يقصر في تحقيق الرسالة والتعليق عليها، بما استطاع الوصول عليه من معلومات في مراجع اخرى³

وفد الرحلة : ارسل ملك الصقالبة رسولا وهو عبد الله بن باشتة الخزري مرفقا اياه بمرسول مكتوب، فيقول احمد بن فضلان:"لما وصل كتاب المش بن يلطوار ملك الصقالبة الى امير المؤمنين المقتدر"

فهنا نعرف ممن ارسلت هته الرسالة او بالاحرى الكتاب والى من ستؤول

وقال بخصوص رسوله:"رجل يقال له عبد الله ابن باشتو الخزري"، وهو امر عجيب لكون هذا الرجل خزري الاصل، كون ملكت الصقالبة مع الخزرو لعل السبب في اختياره يعود لمعرفته للعربية او بسبب ثقة ملكة الصقالبة المش به ولحسن اسلامه⁴.

وقد شمل كتاب ملك الصقالبة على مطالب لاجل تليبيتها هي نفسها الدوافع التي دعت الى وجود هذه الرحلة التي سنذكرها لاحقا .

وقد قرر خليفة المسلمين المقتدر اجابة مطالب ملك الصقالبة وذلك من خلال وفد سيرسله اليه والوفد الرسمي هذا يتكون من اربع شخصيات مهمة وهم⁵ :

1- سوسن الرشي مولى نذير الحرمي

2- تكين التركي

3- بارس الصقلابي

4- احمد بن فضلان

ومعهم دليل وهو رسول الصقالبة، الذي ذكرناه من طرف المدعو "عبد الله بن باشتو الخزري"، ان من خلال هذا الوفد نستشفي وجود عضوين يعرفان الروسية وهوما

¹ ينظر: احمد ابن فضلان، رحلة ابن فضلان، تقديم. شاكر لعبيبيط1، دار السويدي، د-ب، 2003م، ص12

² ينظر: البقالي، مغامرة سفير عربي، ص10

³ محمد بن ناصر العبودي، بلاد التتار والبلغار، ع188، د-ط، رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ص1420 هـ ص183

⁴ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص69، 67

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص23

سوسن الرشي من نسبته يبدو من الروس ، والاخر بارس الصقلابي ونسبه يدل على اصله وهو من الصقالبة ببلاد الروس، واما الثالث وهو تكين التركي ومن نسبته عرف انه يجيد لغات الاتراك من قبائل التي سيمر الوفد لبلادها، وقد كان هذا الخير حدادا في خورزم وهو الذي اقنع نذير الحرمي باصال كتاب ملك الروس الى الخليفة المقتدر، ويقول ابن فضلان بشأن ذلك: "وكان السفير له نذير الحرمي"

اما احمد بن فضلان يجهل اللغات الاجنبية، ولكنه على المام تام بالعربية، وبالشرعية الاسلامية¹، وعن الوفد الذي سيرسله المقتدر يقول ابن فضلان: "والرسول من جهة السلطان سوسن الروسي مولى نذير الحرمي، وتكين التركي، وبارس الصقلابي وانا معهم"

وكان الاختيار على احمد بن فضلان ليكون راس الوفد ويقول بهذا الصدد: "فندبت انا لقراءة الكتاب وتسليم ما اهدي اليه والاشراف على الفقهاء والمعلمين"

وقد ارفق الوفد باشخاص ثانويين ذكرهم ابن فضلان في رسالته منهم الفقيه والمعلم والعلمان، وقد حمل الوفد ادوي كان ملكالصقالبة قد طلبها، وهذا دليل على مدى تقدم الخلافة الاسلامية انذاك ووفرة الادوية عندها².

2- دوافع رحلة ابن فضلان واهميتها :

ذكر ابن فضلان ان ملك الصقالبة ألمش بين بطوار طلب من خليفة المسلمين ان يرسل اليه بعثة تضمنت مايلي:

أ- التفقيه في الدين والتعريف بشرائع الاسلام : وفي هذا الصدد يقول احمد بن فضلان: "يساله فيه البعثة اليه ممن يفقهه في الدين ويعرف شرائع الاسلام"، لان ملك الصقالبة مسلم ومملكته اغلبها او جلها مسلمون ويريدوا ان يتعلموا الاسلام بالطريقة الصحيحة وهم بحاجة الى فقيه يعرف شرائع الاسلام وعلى بيينة بالدين.

ب - بناء مسجد له، وتنصيب منبرله ايضا يقيم عليه الدعوة للخليفة، وفي هذا الصدد ورد في رسالة بن فضلان: "ويبنى له مسجدا، وينصب له منبرا ليقوم عليه الدعوة له في بلده وجمي مملكته"

ج - بناء له حصن يتحصن فيه من الملوك والمخالفين له، هنا يقول ابن فضلان: "ويساله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له"، ملوك الخزر وهم من اليهود كانوا يعتقدون على قومه، ويفرضون عليهم الضرائب يؤدونها عن كل بيت في المملكة بجلد سمور، وابن ملك الخزري يخطب من يريد من بنات ملك الصقالبة، ويتزوجها غصبا، والخزري يهودي، وابنة الصقلابي مسلمة، ونكاح المسلمة بغير المسلم لايجوز، ونص رسالة ابن فضلان عن هذا الزواج، قوله: "اخذاها غصبا وهو يهودي وهي مسلمة"

¹ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص24

² ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص 69،68،25،24

وقد اختار احمد بن ضلان من ملك الصقالبة رغم غناه، و مملكته الواسعة الثرية أن يطلب من خليفة المسلمين طلبا ماديا من بناء سجد و حصن و حتى طلب الأدوية، فكان رد ملك الصقالبة ألمش بن يلطوار: " رأيت دولة الاسلام مقبلة و أموالهم يؤخذ من جلها فالتمست ذلك لهذه العلة"، بل أضاف الملك أيضا قوله: "ولو أني أردت أن أبني حصنا من أموالني نفضة أو ذهب لما تعذر ذلك علي، و إنما تبركت بمال أمير المؤمنين فسألته ذلك"، و في حقيقة الأمر هذا يدعو الى الزهو و الفخر من جانب بغداد¹ لأنه دلالة على مدى قوة و مكانة و هيبة المسلمين آنذاك.

إن فقد كان الهدف من هذه الرحلة هو اجابة طلب الصقالبة، لعونه على مقتومة الخزر عليهم من الجنوب، و التفقه في الدين و التعرف اكثر على شعائر الاسلام، و دامت هاته الرحلة حوالي احدى عشر شهرا، مارا بهمدان و الري و نيسابور و مرو و بخارى ثم نهر جيحون الى خوارزم الى بلغار الفولغا، مع عدم معرفة خط سير الرجعة لضياح القسم الأخير من الرسالة².

أهمية الرحلة و تكمن في أنها تصف بلاد الروس و البلغار، و الأتراك و أصقاع الشمال النائية.

بل و تزداد أهمية هاته الرحلة، في كونها تعد من المراجع الوحيدة التي تنتقل لنا القرون الوسطى، فهي تعد مصدرا تاريخيا مسجلا في وقت لم تكن تعرف فيه هذه الدول القراء و الكتابة بقيت أقسام من الرحلة مجهولة، و لكنها طبعت في الغرب و ترجمت و لم تصل الى مكتبتنا العربية لولا أن حقق و نشر مخطوط ابن فضلان الدكتور سامي الدهان في دمشق عام 1959، فتعتبر رحلة ابن فضلان ثرية في محتواها من عادات و تقاليد للمناطق التي مر بها، و وصف لحياتهم الاجتماعية بكثير من التفصيل³.

و المستشرقون هم أول من تنبه الى خطر و أهمية هذه الرسالة أو الرحلة، فبحثوا عنها في المراجع العربية، فقد عنوا بها دراسة و تعليقا منذ ان استهل القرن 19م⁴.

فالمستشرق الألماني فرهن، حين قدم لدراسة ابن فضلان الى الألمانية، يرى أن العرب قد تحدثوا عن تاريخ الروس، و أدلوا بمعلومات نافعة، خاصة عن البلغار و روسيا في عهدها البعيد، عكس المراجع الغربية لم بتطرقوا الى التاريخ القديم لروسيا.

فرحلة ابن فضلان سرد لنا فيها و وصف العادات و التثاليد و الحياة و الأخلاق من مختلف المناطق التي مر بها الوفد الذي كان ضمنه⁵.

بعد كل هذا الحديث عن الرحلة، و أدب الرحلة، و توصيف لأفضل نموذج يدرج في أدب الرحلة ألا و هو رحلة ابن فضلان، و بيِّنا أهميتها و دوافعها و العصر الذي جاءت منه و غيرها من التفاصيل المحيطة بهاته الرحلة من الخارج قبل أن نتطرق الى دراستها من

¹ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص146، 23.

² خير الدين الزركلي، الأعلام، ط7، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986، ص196.

³ مايكل كرايتون، أكلة الموتى، ترجمة تيسير كامل، ص7، 8.

⁴ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص44.

⁵ ينظر: نفس المرجع ص30، 29.

الداخل مركزين حول الجانب الحياة السوسولوجية لها في مذكرتنا في الفصل التطبيقي، فإنه و لأبد من التعرف على هذا البطل الذي دون لنا و سرد في رسالته الكثير من المعلومات المهمة و الذي جعل منه شخصية مهمة لدى الباحثين و الدارسين عند الروس خصوصا، فمن هو أحمد بن فضلان؟

III - ترجمة أحمد بن فضلان:

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، و هو صاحب الرحلة الى بلاد الترك و الخزر و الروس و الصقالبة، الموسومة "رسالة ابن فضلان"¹ ، ولا يعرف أين ولد أمن بلاد العرب أو من العجم و عن نشأته و شغله مناصب قبل البعثة لم يكن معروف أيضا² ، و أحمد بن فضلان في أول أمره كان منم موالى محمد بن سليمان الحنفي والى مصر³ ، الذي نجح في هزيمته جيوش الطولونيين و إعادة مصر الى الخلافة الاسلامية سنة 292هـ⁴، ثم اصبح من موالى المقتدر بالله العباسي الذي ارسله في وفد الى ملك الصقالبة على اطراف نهر الفولغا مع جمع من القاد و الجند و التراجمة⁵.

واحد بن فضلان كان رجلا فقيها⁶ ، و من الواضح انه كان متعلما و مثقفا، و من تجاربه يبدو انه لم يكن متقدما في السن، و واضح انه كان ذكي، دقيق الملاحظة، فهو مهتم بكل حياة اليومية و معتقدات الشعب الذي يلتقي به⁷، و كان كاتباً و سفيرا يقدم، تقريرا⁸.

و يعد من رحلة القرن 10هـ الموافق للقرن 10 م

وقد ذكر ابن فضلان في الكتابات كثر من المؤرخين، خاصة المستشرقين منهم، مثل كراتشكو فسكي، و رسالته تؤكد موهبة القصصية و براعة قلمه و حسن بيانه، و سلامة أسلوبه، و دقته في التعبير⁹ ، و انه يجيد الوصف على ارواح ما يوجد فيه الادباء، يصور في نفسه من مشاعر الفرح و الغبطة و الخوف و الفرع و العجب و الدهشة¹⁰.

اذن فقد وصف ابن فضلان رحلته و صفا جميلا بارعا، سيضعه في المرتبة او الصف الاول من رحلة الادباء¹¹.

وننبه الى انه لم يعثر على تاريخ ميلاده او وفاته¹ ، فالمصادر التاريخية لم تفصح عنه ولم يعثر له عن ترجمة لشخصه لا في كتب الجغرافيا او التاريخ و الاخبار ترجمة تفصيلية واضحة و دقيقة.

¹ ينظر: خير الدين الزركلي، الاعلام، ص195

² ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص38

³ ينظر: نوفل نوري، الروايات التاريخية، ص256

⁴ ينظر: فؤاد قنديل، ادب الرحلة في التراث العربي، ص164

⁵ ينظر: خير الدين الزركلي، الاعلام، ص196

⁶ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص28

⁷ مايكل كراتيون، اكلة الموتى، ص15-16

⁸ المرجع السابق، ص16

⁹ ينظر: فؤاد قنديل، ادب الرحلة في التراث العربي، ص163

¹⁰ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص28

¹¹ ينظر: المصدر نفسه، ص25

ونشير الى انهفي السنما الامريكية والاوروبية ضعت له افلاما عالميا، من شدة روعة مغامرته، كان ابرزها فلما انتجته استيديوهات السينما في هوليوود سنة 1999 اسمه "المحارب الثالث" وهذا الفلم لما يحمله من تشويه للقصة الاصلية لبطلنا الاسلامي² ، فانه يدل على كونه رحالة بطلا اسطوريا يستح ان يتحدث الناس عن اخباره وجولاته وحكاياته³.

وبعد ان تعرفنا على بطلنا الرحالة احمد بن فضلان في سطور موجزة حسب ماتوفر من معلومات قليلة عنه، سنذكر اهم محطات لاماكن وردت في عنوان رسالته الموسومة بـ:"رسالة بن فضلان في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر و الروس والصقالبة"، فمن هم الترك؟ ومن هم ايضا الخزر والروس؟ وهل سبق ان مر على مسمعك اسم الصقالبة؟

هذا ما سنحاول الاجابة عنه في المبحث اللاحق.

IV- المحطات الكبرى لرحالة ابن فضلان

1- الترك :

الترك هم شعوب اورواسوية، تقيم في شمال ووسط غرب اوراسيا، ويتحدثون مجموعة لغات تنتمي لعائلة اللغات التركية، هذا حسب ماورد في ويكيبيديا⁴

ويعود اول ظهور لاسم الترك الى القرن6م، حيث كونوا اول امبراطورية لهم، والتي رد ذكرها في وثائق بيزنطية في الثرن 6م، وبيزنطة عرفت في فترة سابقة عددا من القبائل تندرج تحت الجنس التركي كالبغار والخزر والقفجان والورداس والماجيار⁵.

ومن الشعوب التركية نذكر منهم: التتارواتراك الجمهورية التركية، والتركمان والايغور والاوزبك والكاراخ، ويضاف اليهم مجوعات الحضارات القديمة مثل الهون والبلغار والسلاجقة والخزر والعثمانيون والمماليك، وتعتبر اواسط اسيا هي الموطن الاصيلي للشعوب التركية⁶.

وبعض الشعوب التركية دخلت الى الحدود الاسلاميةواقامت دولا تركية اسلامية كالسلاجقة والغزنويين والسامانيين⁷.

وكما اسلفنا الذكر من انه من الشعوب التركية العثمانيون، ونخصهم بنوع من التفصيل كونهم قد اقاموا الدولة العثمانية في اواخر القرن7هـ، وامتدت فتوحاتها، وتوسعت رقعتها، حتى شملت أكثر أجزاء العالم الاسلامي، وقدمت خدما جليلة للمسلمين، اذا احتضنت

¹ ينظر: فواد قدييل، ادب الرحلة في التراث العربي، ص164

² محمد الزغبي، مائة من عضاء امة الاسلامية، ط1، دار التقوى ، مصر، 2010م، ص398

³ ينظر: محمد الزغبي، مائة من عضاء امة الاسلامية ص13

⁴ ينظر: الترك- ويكيبيديا WWW.OR.M.WIKIPIDEDIA.ORG

⁵ ينظر: زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، د.ط، دار الكتاب الحديث، د.ت، ص5

⁶ ينظر: الترك- ويكيبيديا WWW.OR.M.WIKIPIDEDIA.ORG

⁷ ينظر: زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص5

الخلافة فجمعت شتات المسلمين، وفتحت عاصمة الدولة البيزنطية "القسطنطينية"، وجعلتها قاعدة لها، فاصبحت دار الاسلام استانبول وتصدت للصلبيين الاوربيين.

اذن فقد كانت الارض التركية مقر الخلافة الاسلامية لعدة قرون خلت، وكان الخلفاء يعودون الى اصل تركي، وقد حكموا أجزاء واسعة من العالم الاسلامي باسم الاسلام¹.

وقد التقى احمد بن فضلان، في طريقه اثناء رحلته بقبائل تركية عديدة منها الغزية، لكنهم كانوا وقتها بعيدون عن الاسلام في معظمهم.

2- الخزر:

في العصور الوسطى على التخوم الشرقية الاوربية، كان هناك قوم عرفوا بمدى قوتهم و شدة بأسهم ومراسهم، و هم اليهود الخزر، الذين استطاعوا في العصور الوسطى تكوين دولة قوية فيما بين القوقاز و الفولغا، عرفت بمملكة الخزر

و الخزر من الشعوب التركية²، و بلادهم كانت جزء من مملكة الترك البدوية العظيمة في السهوب الشرقية لاوروبا، بما في ذلك حوض إتل، و قد اسسوا عاصمتهم على منصب نهر الفولغا ثم نقلوا عاصمتهم هي إتل³.

و قد بسط الخزر وهم في مجدهم ونفوذهم على ثلاثين عشيرة و قبيلة ن تسكن في الاقاليم الواقعة بين القوقاز و بحر أرال و جبال أورال، و مدينة كييف ن و السهول الاوكرانية، مما يدل على اتساع رقعة بلاد الخزر جغرافيا و سياسيا ن امتد نفوذ المملكة الخزرية الى المنطقة الواقعة بين البحر الاسود و بحر قزوين، فيما يسمى من بعد بـ "خزريا" أو "اقليم الخزر"⁴.

ويمكن القول ان لاد الخزر، يحدها شرقا بحر قزوين وولاية قازخستان، غربا اوكرانيا و جنوبا اذربيجان و ارمينيا، وجورجيا و شمالا روسيا، وأهم مدنها الحالية استراخان⁵

وقد اعتنقت الطبقات الحاكمة فيها الديانة اليهودية، و الخزر قبل تحولهم الى اليهودية⁶ كانوا يميلون، الى الشامانية، التي لم تستطع ان تضيء على زعمائهم سلطة روحية، ما اتسمت به من بربرية و عنف ن و من هنا توجه حكام الخزر الى اليهودية مدفوعين ببواعث سياسية⁷.

و مملكة الخزر اليهودية هي الاسباب و الدوافع التي أدت بملك الصقالية، ألمش ان يطلب من الخليفة المقتدر الدعم ضد طغيان الخزر عليهم.

¹ ينظر: محمود شاكر، التاريخ الاسلامي، المجلد7، ط3، المكتب الاسلامي، بيروت لبنان، 1996، ص11، 5

² ينظر: محمد عبد الشافي المغزي، مملكة الخزر اليهودية، د ط دار الوفاء، الاسكندرية، مصر 2002 م، ص 09

³ احمد توني، د ينظر ك يهود الخزر، ط، دار العلوم، المنيا، مصر، 2015 م، ص 19، 22

⁴ ينظر ك ملكة لخزر اليهودية، محمد عبد الشافي العزي، ص 9

⁵ احمد توني، يهود الخزر، ص 22

⁶ دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة ن سهيل زكار، ط 2 دار حسان، دمشق سوريا، 1990، ص 6

⁷ ينظر: احمد توني، يهود الخزر، ص 43

03- الروس : كانت بلاد الشعب الروسي منطقة محدودة ، بالنسبة الى ما عليه روسيا في الوقت الحاضر ، وكانت تخضع لنفوذ المسلمين البلغاريين الذين أسماهم الروس بالتتار ، يكون بعضهم بعضهم جاء مع حفيد جنكيز خان ، و لحقتهم هذه التسمية حتى الان ، و عاصمة بلاد هم في الوقت الحاضر هي قازان بجمهورية تتارستان¹

و الروس في الوقت الحاضر قسموا البلاد الى جمهوريات صغيرة ، حسب قوميات السكان اولغاتهم ، وهي جمهوريات اتحادية ، بعضها يتمتع بالحكم الذاتي²

و الروس اليوم تبلغ مساحة جمهوريتهم حوالي 17 مليوناً و 100 الف كيلو متر ، التي لم تكن تتعدى مساحتها في التاريخ اكثر من عشر مساحة الجمهورية هذه اليوم ، فقد استولت روسيا على العديد من المناطق حتى الاسلامية منها، نذكر على سبيل المثال : تتارستان و بلاد الباشغرد فلدتهم جمهورية تعرف باشغردزستان ذات الحكم الذاتي و كذلك جمهورية الداغستان و الشيشان وغيرها .

اذن فروسيا اليوم اليوم تحتل مساحات كبيرة في اسيا و اوروبا حدودها ممتدة من البحر الاسود حتى المحيط الهادي ومن اواسط اسيا حت المحيط المتجمد الشمالي، و65% من سكانها روس والبقية الاقليات المختلفة³ .

ولذلك لا بد من التفريق، بين الروس كشعب، وهم سكان روسيا الاصليين ، وبين الروس الذين ضمت اليها من الناحية الادارية⁴ .

فقد وصف احمد فضلان تاروس فقال عنهم بانهم شقر حمر⁵

والمسلمون في روسيا اليوم يغطون ثلث المساحة، ويتحدثون اكثر من خمسين لغة محلية، ويشكلون 43 قومية متعددة الاصول⁶ .

ولعب ابن فضلان دورا كبيرا في اسلام اجناس روسيا المختلفة، ولايقر مسلمو روسيا اليوم بشيئ من الفضل لاحد، كما يقرون لابن فضلان⁷ .

4 - الصقالبة : الصقالبة و هم سكان الشمال في أوروبا على اطراف نهر الفولغا و عاصمتهم على مقربة من قازان اليوم في خط يوازي مدينة موسكو¹ و يعرفون بابلغار، و قسل بأنهم ذو أصل تركي² ، و لكنه أمر مختلف فيه³ .

¹ محمد العبودي، في بلاد المسلمين المنسيين، ط1 ، وزارة الاعلام ،د،ط، بلد، 1991 ص 18،19،20

² محمد العبودي، الرحلة الروسية ، ط1، 1993 ، ص 5، 6

³ ينظر : محمد العبودي، زيارات بلاد الروس والباشقرد، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2000، ص135

⁴ محمد العبودي، الرحلة الروسية، ص6

⁵ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص32

⁶ محمد العبودي، في بلاد المسلمين المنسيين، ص5

⁷ محمد عادل، مسلمو روسيا ومشاريع الاستقلال ، مجلة البيان، ع3، المركز العربي لدراسات الانسانية، القاهرة، مصر، 2007م، ص8

إن الصقالبة هم البلغار فقط المصادر التاريخية العربية تطلق عليهم بلغار الفولغا باسم مملكة الاصقالبة و مملكة البلغار، و هي دولة بلغارية تاريخية، وجدت بين القرنين 7 و13م، حول التقاء نهري فولغا و الكاما، الموجودة حاليا في روسيا، أسستها ألمش ابن يلطوار، و المعروف أيضا باسم جعفر ابن عبد الله بعد ارتباطها بالدولة العباسية زمن الخليفة جعفر المقتدر، الذي أرسله اليه ابن فضلان لتلبية نداءه، و مملكة الصقالبة آنذاك واسعة و أموالها جمة و خراجها كثير كما وصف ذلك ابن فضلان⁴.

اذن الصقالبة أو مدينة بلغار التاريخية، لا تزال تحتفظ باسمها التاريخي، و بالأوراق الرسمية إلى يومنا هذا، و تعد منطقة مسهمة قديمة، و تميز أهلها بكونهم أسلموا في أوائل القرن 4هـ حبا في الاسلام، دون حرب أو غزو، فقد انتشر الاسلام هناك بشكل سلمي من خلال التجارة، و هناك من يشير الى بدايات الاسلام⁵ عندهم منذ الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان⁶.

و تغيرت تسميتهم فصاروا يسمون التتار بعد ان كان اسمهم البلغار، و قد نسي اسم البلغار الا في بطون كتب التاريخ، و في آثار هذه المدينة التي تسمى مدينة بلغار حتى الوقت الحاضر⁷.

اذن فمدينة بلغار اليوم، هي احدى مدن روسيا في الكيان الفدرالي الروسي، تتارستان، و يعد أقدم وصف اجنبي لتتارستان ذلك الذي كتبه ابن فضلان عام 922م لما زار دولة البلغار أو الصقالبة حاملا الرسالة من الخليفة الى ملك الصقالبة أو البلغار⁸.

و تتارستان جمهورية أرضها لا تجاور أي دولة أجنبية، كونها تقع في قلب روسيا الاتحادية⁹، بل يحدها أربع ديموريات اتحادية روسية¹⁰.

¹ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص22.

² ينظر: محمد العبودي، بلاد التتار و البلغار، ص97.

³ ينظر: أحمد عادل كمال، الجمهوريات الاسلامية بآسيا الوسطى، ط1، دار السلام، القاهرة، مصر، 2006م، ص33.

⁴ ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص23.

⁵ ينظر: محمد العبودي، بلاد التتار و البلغار، ص91.

⁶ ينظر: سعيد كريديه، التتار على ضفاف الفولغا و شواطئ القرم، ط1، دار الرشاد، بيروت، لبنان، 2007م، ص13.

⁷ محمد العبودي، بلاد التتار و البلغار، ص92.

⁸ ينظر: بولغار- ويكيبيديا- www.ar.m.wikipedia.org

⁹ ينظر: المرجع نفسه.

¹⁰ سعيد كريديه، التتار على ضفاف الفولغا و شواطئ القرم، ص9.

و خلاصة القول مما سبق من هذه المذكرة:

أن رسالة أحمد بن فضلان تندرج ضمن ما يعرف بأدب الرحلة بامتياز، فقد وظف تقنية السرد الحكائي فنيا، الى جنب مع الوصف و الحوار¹، و كلها تقنيات تتناسب وخصائص ادب الرحلة.

فبعد أن حدد أحمد بن فضلان في رسالته من هو الرسول و من المرسل و المرسل اليه، و الهدف و الدوافع من هاته الرحلة، و ذكر الوفد الذي سيرافقه في رحلته، و بين لنا أنه من يترأس هذا الوفد، و كلها أمور تنصب في خصائص النص الرحلي الأدبي، فقد سرد لنا الأحداث في قالب حكائي تنابعي، يباينقطة بداية بتحديد زمان و مكان انطلاق الرحلة، ثم ذكر للمحطات التي يمر بها، و في الأخير كر لمكان الوصول، و ذلك نجده في قوله: "فرحلنا من مدينة السلام يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر، سنة تسع و

ثلاثمئة"²، ثم سرد لنا القبائل التي قابلها و الأحداث و ذلك بتوظيفه و اعتماده كثيرا على الأفعال الماضية المناسبة لعملية السرد التمس يشعر من خلالها القارئ لأثناء قراءته بوجود حركة حية داخل النص، و كأنه يعيش تلك الأحداث و حاضر فيها، و نجد أن أحمد بن فضلان مع توظيفه للأفعال الماضية ينسبها في أغلبها إلى الضمير المتكلم المفرد أو الجمع، لأنه صاحب الرحلة و مدونها و سارد أحداثها، و ذلك ثل: "فرحلنا... فأقمنا... و رحلنا... وافينا... فأقمنا... ثم رحلنا... صرنا... فأقمنا... سرنا..."³

¹ ينظر: خلف الله حنان، السرد العربي القديم، كلية الآداب، جامعة محمد البشير الابراهيمى، برج بوعريريج، الجذائر، 2016م، ص3.

² ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص73.

³ ينظر: احمد بن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص73.

و وظف الآيات القرآنية أيضا، و غيرها من الخصائص التي تجعلنا متأكدين أن نص أحمد بن فضلان أقدمهم لأدب الرحلة، و لكن أن رغم أن الرحلة ميدان خصب لمعلومات تاريخية التي يمكن لقسم التاريخ دراستها، أو الأحوال السياسية، و كذا الأماكن الجغرافية و غيرها، إلا أنه في دراستنا هاته سنركز على البعد السوسيولوجي للسرد الحكائي في رحلة ابن فضلان، فما هي المظاهر السوسيولوجية للسرد الحكائي لرسالته؟ و هل يمكن البحث عن البعد الاجتماعي¹ و مظاهرها في رحلته؟ ماهي العادات و التقاليد الاجتماعية التي صادفها في الشعوب طول مسيرة الرحلة؟ و غيرها من الاسئلة السوسيولوجية بخصوص هاته المدونة، و هو ما سنحاول الإجابة عنه في الفصل التطبيقي اللاحق من خلال استخراج أمثلة من مدونته للدلالة على ثرائها بهذه المظاهر الاجتماعية.

¹ ينظر: بول أرون و آخرون، سوسيولوجيا الأدب، ترجمة محمد علي مقلد، ط1، دار الكتاب الجديد، د، ب، 2013م، ص54.

**الفصل الثاني: سيولوجية
السرور الحكائي في رحلة ابن
فضلان (استخراج امثلة)**

الفصل الثاني: سيولوجيا السرد الحكائي في رحلة ابن فضلان (استخراج الأمثلة):

- المبحث 1: المعتقدات و الطقوس الدينية.
- المبحث 2: عادات و طقوس الزواج.
- المبحث 3: المعاملات المالية.
- المبحث 4: مظاهر الطعام و اللباس و النظافة.
- المبحث 5: طباع و أخلاق.
- المبحث 6: الجنائز و الموت.
- المبحث 7: أسلوب العيش.
- المبحث 8: المرأة.
- المبحث 9: اللغة و اللهجات.

تعتمد النظم و التقاليد و العادات الاجتماعية على مجرد و مصطلحات يرتضيها العقل الجمعي، و قواعد تتواضع عليها المجتمعات، حيث أن كثير من هذه النظم و التقاليد و العادات ليتعارض تعارضاً صريحاً مع قوانين المنطق الفردي، و هذا ما حدث مع ابن فضلان لما التقى شعوباً لها طقوس اجتماعية مغايرة تماماً عما ألفه، و تمتاز النظم و التقاليد و العادات الاجتماعية عموماً، بكونها لا تثبت على حالٍ واحدة، بل تختلف باختلاف الأمم و الشعوب و القبائل، بل وقد تختلف داخل المجتمع الواحد باختلاف العصور، و من المستحيل أن نجد أمتين أو شعبين متفقان تمام الاتفاق في نظام اجتماعي ما، و في طريقة تطبيقه و تجسيده على أرض الواقع¹.

و مازالت المعتقدات القبلية ضاربة جنورها في سلوكنا لما كان عليه الأمر في أجدادنا².

و تشكل السجلات الاجتماعية في النصوص الرحلية رافداً أساسياً لإغناء النص و توسع أبعاده و تنويعه، خصوصاً أن الرحلات لا تخلو من وصفٍ لطبائع الناس و عاداتهم، و تقاليدهم، و بعض خصوصيات ثقافتهم³، و رحلة ابن فضلان نموذج نثري عن تشكّل السجلات الاجتماعية في النص الرحلي، و هذا ما سنكشفه في المباحث اللاحقة.

I - المعتقدات و الطقوس الدينية :

الانسان القديم كان حائراً في معرفة سرّ هذا الوجود، و أسئلة كثيرة لاحقته و ألحت عليه، و قد أدرك عن طريق عقله أن هناك قوى خفية تحرك هذا العالم من حوله، و توهم حيناً أنها الشمس أو القمر و حيناً آخر الرياح و العواصف، و أحياناً أخرى اعتقد في وجود آلهة غير منظورة، و أخرى موجودة في الطبيعة، و قد أقام تماثيل و معابد للآلهة التي تصورها، بقصد العبادة و اكتساب رضاها⁴، فوضع أوثاناً لصور ذهنية زائفة يتقارب بها إليها⁵.

و الظاهر الدينية قد تختلف من مجتمع إلى آخر، و من حضارة إلى أخرى، و قد تشترك بعض الحضارات في بعض الممارسات و الطقوس الدينية، و قد تتعدد أشكال التعبير عن الدين حسب الفئات؛ باعتبار أنّ الدين ليس مجرد مجموعة من الشعائر و الأركان فحسب، وإنما هو أيضاً رؤية للعالم و للمجتمع و للعلاقات الاجتماعية.

ومن الملاحظ أن الظاهرة الدينية توجد في كل المجتمعات، و عبر كل المراحل التاريخية الطويلة، و أن التدين و الدين لازم للإنسانية.

¹ علي عبد الواحد وافي، حياة المجتمعات، ج1، د.ط، مكتبة نهضة مصر، د.ت، ص5،3.

² شارلز باناتي، قصة العادات و التقاليد، ترجمة مروان مسلوب، ط1، دار الخيال، بيروت، لبنان، 2003م، ص3.

³ شعيب خليفي، الرحلة في الادب العربي، ص61.

⁴ ينظر: أحمد سويلم، أشهر العقائد الدينية في العالم القديم، ط1، دار العالم الغربي، القاهرة، مصر، 2011م،

ص11،12.

⁵ ينظر: ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ص56.

فالطقوس الدينية الهدف منها عند المجتمعات ؛ و للدلالة و التعبير عن عبادة الخالق ، وقد توجد كتب مقدّسة سواء في الديانات السماوية الثلاث أو حتى الوضعية منها أو البدائية¹ ، وقد نجد لها رجال دين بتسميات مختلفة كالخادم والراهب أو الامام أو الكاهن و غيرها من الألقاب حسب الأديان التابعة إليها.

و للعبد الاجتماعي للدين وظيفة مهمة للحفاظ على التضامن و التسامح بل وبشكل إطاراً للهوية الجماعية ، و يوطد و يقوي الاحساس بالانتماء للحضارة المشتركة ، أو داخل مؤسسة اجتماعية معينة لدولة ما أو شعوب أو قبيلة ، و الدين عبر التاريخ في المجتمعات الانسانية بين أن له قوة و سلطة² .

و يعتبر القرن الرابع لظهور أول الكتب في مجال التحري عن الأديان و المذاهب و المدارس الفكرية ، فنجد كتابا بعنوان " المقالات في أصول الديانات " و لأنني في الحسن الأشعري "مقالات غير الاسلاميين"³ .

و مما سبق نجد أن المعتقدات و الظواهر الدينية ضاربة بجذورها في شتى المجتمعات منذ القدم و رحلة ابن فضلان تزخر بالكثير من التفاصيل في هذا الجانب فقد سرد لنا طول الرحله مما شاهده من طقوس دينية ، ولكننا سنكتفي فقط بذكر بعض النماذج ، وذلك بسبب كثرتها فيما ذكره لنا في رسالته، فيذكر أنه في قرية "أدكو" على مسيرة يوم من مكان يدعى ب "البرجانية" عن أحد طقوسهم الدينية ألا وهو التبرؤ من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وذلك في قوله: {و هم يتبرؤون من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . رضي الله عنه - في دبر كل صلاة⁴} . أي عقب كل صلاة ، وهذا صنف للدين الإسلامي الحنيف.

و يحكي لنا أيضاً ابن فضلان ، عما خلفه البرد الشديد بالبرجانية في نفوسهم ، فقال أحدهم يضع معتقدات و تصورات عما يريد الله منهم ، فقال أحد أفراد الوفد واسمه تكين عن رجل من الأتراك كلمة بالتركية : أي شئى يريد ربنا منا ، هوذا يقتلنا بالبرد،ولو علمنا ما يريد لرفعناه إليه، فطلب أحمد عن المترجم تكين أن يرد عليه كجواب على سؤاله العقادوي بأن قال له : { فقلت له : " قال له يريد منكم أن تقولوا (لا إله إلا الله) " ، و هذ الجواب دلالة على عقيدة التوحيد التي يؤمن بها ابن فضلان .

و قبيلة من الأتراك و يعرفون ب " الغزية " تحدث ابن فضلان عن معتقداتهم فقد ذكرهم بوصفة : {كالحمير الضالة لا يدينون لله بدين، ولا يرجعون إلى عقل ، ولا يعبدون شيئاً}

بل أضاف بأنهم يطلقون على كبارائهم أرباباً، و بأنه عند استشارة أحدهم لرئيسه في شئ فإنه يقول له : {يارب ...أعمل في كذا و كذا ؟} ، بل و من التناقضات العقديّة التي سمعها عنهم قولهم : { لا إله إلا الله} ؛ وفسر أحمد فضلان سبب قولهم بالتوحيد {تقرباً بهذا القول

¹ بورقية رحمة، الظاهرة الدينية من منظور العلوم الاجتماعية، د.ط، مجلة الاكاديمية، دار المنظومة، المغرب، 2006م، ص310، 309.

² ينظر: المرجع نفسه، ص315، 312.

³ خزعل المجادي، علم الأديان، ط1، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 2016م، ص87.

⁴ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص22.

إلا من يجتاز بهم عند المسلمين لا إعتقاداً لذلك}، و يذكر ابن فضلان أن بعضهم... يقرأ القرآن فاستحسنه ، و سأل الترجمات ... لا يسكت بقصد ابن فضلان¹.

و هنا دليل آخر على تمسك و تدين أحمد بن فضلان بمعتقداته و طقوسه الدينية الإسلامية من جهة ، و من جهة أخرى فإن السائل او الذي طلب منه ألا يسكن قد يدور في خله تساؤلات تنصب في البحث عن العقيدة الصافية ، فقد طلب من الترجمات مجدداً بأن يسأل أحمد: {أربنا عز وجل امرأة} ، و احمد بن فضلان يستغفر الله مما سمعه و يُسبح ، و هذا دلالة على تعظيمه لربه و مخافته و روعته، وأضاف ابن فضلان عن هذا الرجل السائل كلما سمع مسلم يُسبح و يهلل فإنه يفعل مثله.

و التقى ابن فضلان بقوم الباشغرد ، و تحدث عن معتقداتهم الدينية فقال : { وكل واحد منهم ينحن خشيته .. فإذا أراد منفراً أو لقاء عدوٍ قبلها و سجّد لها ، و قال " يارب افعل بي كذا و كذا }

بل منهم من يدعي أن لديه إثنا عشر رباً ، فربٌ للشتاء و للصيف .و للمطر و الشجر و للناس ربٌ و الليل و النهار و غير ذلك ، بل إنهم يقرون بأن هناك ربٌ في السماء لكنه أكبرهم ، و رغم ذلك فإنه حسب اعتقادهم أنه يتفق مع هؤلاء الأرباب ، و هنا يظهر معتقد ابن فضلان الديني المنتمي للإسلام ردًا على هاته المعتقدات المعتقدات الباطلة

" { تعالی الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً }². و هنا نجد ابن فضلان قد اقتبس من القرآن الكريم و لم يقف الأمر عند هذا الحد عند قوم الباشغرد ، بل وصف لنا منهم من يعبد الحيات و من يعبد السمك.

أما عن الصقالبة فيحكي لنا ابن فضلان عن بعض الأخطاء التي وقعوا فيها في أمور دينهم حول الإسلام ، و هذا بسبب قلة تفقهم ، و لهذا السبب طلب مالكم إرسال من يفقههم ، فقد كان المؤذنين يثني الإقامة إذا أذن ، و هنا تدخل أحمد بن فضلان ليعلمهم.

و هكذا مع كثير من المواقف الدينية التي حدثت مع ابن فضلان ، التي رآها عند الصقالبة { يتبركون بعواء الكلاب جذاً، و يفرحون به و يقلون سنة خصب و بركة و سلامة } و هذا الأمر منافٍ للإسلام .

وتحدث عن ناس من الصقالبة يعرفون بالبرنجان قد أسلموا كلهم، يصلون لكن لا يعرفون القراءة ، فعلم ابن فضلان جماعة منهم طريقة الصلاة الصحيحة .

و قد أسلم على يدان ابن فضلان رجل يدعى طالوت وأبدل اسمه بعبد الله ، لكم الرجل أراد أن يتسمى بنفس اسم ابن فضلان ، فحدث له ما أراده و المضحك في الأمر أنه لما أسم كل أولاده و امرأته وأمه فجميعاً تسموا بنفس الاسم ، و يضيف ابن فضلان بأنه علمه الفاتحة و الإخلاص ، و وصف بأن فرحته بها أكثر من فرحه لو كان ملكاً للصقالبة³.

¹ ينظر: مرجع نفسه، ص93،92،91،90.

² ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص109،109،93.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص135،127،120،109.

وتحدث ابن فضلان أيضاً في رحلته عن المعتقدات و الطقوس الدينية للروسيين فقال عن التجار منهم: { يخرج كل واحد منهم و معه خبز و لحم و بصل و لبن و نبيذ، حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة ، لها وجه يشبه وجه الإنسان و حولها صور صغار، و خلف تلك الصور خشب طوال ، قد نصبت في الأرض ، فيوافي إلى الصورة الكبيرة و يسجد لها } ، يفعل التاجر ذلك قبل مسفره ، طالبا من الصنم أن يرزقه من معه دنائير و دراهم كثيرة حتى يشتري كل ما عند، وأن لا يخالفه فيما يقول .

وإذا لم ينجح في تجارته أو تعسر الأمر عليه ؛ فأته يعود بهديّة ثانية و ثالثة ، و يظل يحاول مع صنمه حتى يرضى عنه حسب اعتقاده ، فإن رضي عنه بنجاح تجارته ، فإنه يفرح و يكافئ صنمه¹.

هذه بعض النماذج التي وردت عن ابن فضلان حول المعتقدات الدينية لبعض القبائل التي التقى بها.

III- عادات وطقوس الزواج

تكفلت الرسالات السماوية بتشريع يحفظ الانساب ويرتبط بين الفروع والأصول برباط قوي لا تكلف فيه ولا تصنع بل ملائم لفطرة الانسان من محبة متبادلة بين الإباء و أبنائهم به تحفظ الطفولة و ترعى فترة الصبا و مختلف المراحل العمرية خصوصا الأولى و عند الكبر لكي ينشأ المجتمع متماسك و سعيد فيه يحترم الصغير و يوقر الكبير²

ولقد رغب الإسلام في الزواج لأنه سنة المرسلين وخاتم النبيين³ ، يقول الله سبحانه وتعالى [الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها]⁴

وفي سورة الفرقان [ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما]⁵

و للزواج أهمية و دواعي كثيرة كثيرة وعديدة نذكر منها⁶

1- للمحافظة على النوع الإنساني فبالزواج ينتصر بقاء النسل على ان يرث الله الارض ومن عليها

2 - المحافظة على الانساب حيث ان الأبناء يفخرون بانتمائهم و انتسابهم لابائهم فهذا الامر له دور عظيم في احترام الذات و استقرارها النفسي وكرامتها

3 - المحافظة و سلامة المجتمع من فساد الأخلاق و انحلالها فبالزواج المبارك الصحيح يكون المجتمع بأمان

¹ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص154، 153.

² ينظر: عبد الله المراغي، الزواج والطلاق في جميع الأديان، ص4

³ ينظر: محمود المصري، الزواج الاسلامي السعيد، ط1، دار البيان، القاهرة، مصر، 2006م، ص15

⁴ سورة النساء، الآية 1

⁵ سورة الفرقان، الآية 74

⁶ ينظر: محمود المصري، الزواج الاسلامي السعيد، ص17

الفصل الثاني: سيولوجيا السرد الحكائي في رحلة ابن فضلان (استخراج الأمثلة)

4 - بالزواج سلم المجتمع من الامراض التي تنشا بسبب شيوع الفاحشة والمحرمات وهاته الامراض قد تقضي على النسل بل تفتك بصاحبها و بصحة اولاده .

5 - الزواج سكن اجتماعي ونفسي ومعنوي فيه تنمو روح المودة والرحمة بين الزوجين، وكما تجمع افراد الاسرة معا: أما و أبأ و أطفالا .

6- الزواج يربي ويدعم معنى التعاون ، في بناء اسرة مترابطة ، وتربية اولاد صالحين غير مشتتين ، وهو أيضا يربي روح المسؤولية ، فالحياة الزوجية لا بد من ان تنطوي على المشاركة والتبادل والشعور بالمعية¹ ، وهذا يوطد اوصل المجتمع ككل .

7- الاجر العظيم والثواب بالقيام بحقوق الزوجة والاولاد بالاتفاق عليهم ورعايتهم .

8 - الزواج عبادة لأنه يحفظ الانسان من شر الفتن² .

ومما تقدم ندرک، ان الزواج سنة الحياة التي فطر الله عليها بني الأنسان ، ولكن الزواج وطقوسه وعاداته تختلف من بلد لأخر، ومن مجتمع الى لأخر ، ومن دين الى دين.

واحمد بن فضلان ، من خلال رحلته عاش طقوسا مختلفة عن الزواج ، كانت مختلفة عما ألفه وعاشه في بيئته الاصلية التي كانت مبنية وفق معتقدات إسلامية .

ففي بخاري من شروطهم في مهور نسائهم يقول: "واذا شرطوهم في مهور نسائهم: تزوج فلان ابن فلان بنت فلان على كذا وكذا الف درهم غطرية "

وسرد لنا ابن فضلان عن الزواج عن قبيلة الغزية فقال: ورسوم تزويجهم هو أن يخطب الواحد منهم الى الآخر بعض حرمهعلى كذا وكذا ثوب خوارزمي فاذا وافقه حصلها اليه وربما كان المهر جمالا او دواب "

وبين ابن فضلان انه متى وافى الخاطب المهر ، فانه يأتي مخطوبته في منزل ابوها ، ويأخذها دون أن يعارضه أحد او يعترض على صنيعه ، لأنه بمجرد إتمام الصداق صارت زوجة له "فاذا اوفاه إياه جاء غير محتشم ، حتى يدخل الى المنزل الذي هي فيه ، فيأخذها بحظرة ابوها وأمها و اخوتها ، فلا يمنعه من ذلك" .

بل وقد حكى ابن فضلان عنهم عادات غريبة ومستهجنة عن الزواج فقال: "واذا مات الرجل وله زوجة واولاد تزوج الأكبر من ولده بامرأته اذا لم تكن امه" .

وتحدث عن زواج الغضب ، الذي حدث مع ابنه ملك الصقالية غضبا من ملك

فابنة الملك الصقلي مسلمة والآخر يهودي .

ففي هذا الصدد يقول ابن فضلان "اخذها غضبا هو يهودي وهي مسلمة"³

¹ زكريا ابراهيم، الزواج والاستقرار النفسي، ط2، مكتبة مصر، 1978، ص92

² عبد الله بن جار الله، الزوا وفوائده واثاره النافعة، د.ط، د.ب، د.د، د.ت، ص27، 26

³ ابن فضلان رسالة ابن فضلان، ص79.93.94.145

هذه كانت نماذج لما عاينه وشاهده ابن فضلان من اقوام مختلفة عن الزواج.

V- المعاملات المالية:

لاشك ان للمال سحرا و جاذبية قوية في نفوس قوية في نفوس البشر ، تجعلهم ينشدون اليه ويسيروا باتجاهه متصورين ان المال سيحقق لهم كل طموحاتهم .

فبعض الناس يشعر بالمتعة اثناء تجولهم في الأسواق او مشاهدة واجهات المحلات ، او السلع المعروضة فيها، لذلك لا بد من مراقبة الاستهلاك بصفة مستمرة من خلال التوعية والقرارات الرشيدة¹ للمحافظة على المال ، وصرفه في أبواب ذات فائدة ، وفي أبواب الخير كالصدقة وكفالة اليتيم.

وللمال أهمية كبيرة في المجتمع ، فالإنسان ومنذ الحياة البدائية البسيطة ادرك الأهمية الكبيرة لوجود اادات او واسطة يمكن استغلالها في تسهيل واتمام عملية تبادل السلع ، والخدمات بين افراد المجتمع فقد تطورت المجتمعات البشرية في استعمالها لهذه الأدوات بدءا من نظام مبادلة سلعة بسلعة أخرى ، بصورة مباشرة أي نظام المقايضة في استعمال النقود السلعية ، فالنقود الورقية والمصرفية وأخيرا النقود الالكترونية² .

وقد اعتمدت الخلافة العباسية على النظام النقدي الاموي دون تغيير في الشكل ، او الوزن ، الا ما كتب عليها في السابق من اقتباس قرآني لسورة الإخلاص ، من مركز ظهر الدنانير و الدراهم ، وسجلوا بدلا منه الرسالة المحمدية "محمد / رسول / الله " ، وذلك اعلانا عن قرابتهم لسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانهم من آل بيته الطاهرين³.

واحمد بن فضلان خلال رحلته اكتشف نقودا جديدة عما الفه من النقود الإسلامية في الخلافة العباسية ، فشهد بعض من معاملاتهم المالية في البيع والشراء .

فحين وصوله الى بوخاري: " فأقمنا نحن ببخارى ثمانية وعشرين يوما " ، فوصف لنا ماشهده فيها " رايت الدراهم ببخارى الوانا شتى" وقال: " منها دراهم يقال لها الغطريفية وهي نحاس "

وفي شراء العقارات والعبيد عندهم قال: " شراء عقارهم وشراء عبيدهم ، لا يذكرون غيرها من الدراهم " ورغم ذلك يبين ان لديهم دراهم أخرى يتعاملون بها غير الغطريفية فيذكر قوله " ولهم أيضا دراهم صفر يقال لها السمر قندية"

ولما وصل ابن فضلان الى الجرجانية من الخوارزم: " فانحدرنا من الخوارزم الجرجانية "4 ، فان من اولهم: " ويسمون الدرهم طازجة"

¹ زيد الرماني، حمى الشراء، دار الوطن، الرياض، السعودية، ص9

² المرجع نفسه، ص17.42

³ يظر : عاطف مصور رمضان، النقود الإسلامية، ط1، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2008م، ص68

⁴ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص78.81

الفصل الثاني: سيسيولوجيا السرد الحكائي في رحلة ابن فضلان (استخراج الأمثلة)

ومما سرده ابن فضلان في رسالته عن بيع الحطب بالجرجانية ذكر بأنه رخيص، وهذا رحمة من الله بيهم ، والا لو كان باهض الثمن لما استطاعوا توفير مصدرا للدفي مع شتاء قارس لديهم ، وهو شتاء طويل ، ونفهم من خلال رسالته أيضا ان بيع الحطب عندهم

رخيصا مقارنة بما اعتاده ، وقد ذكر لنا مقدار الحطب و مقابله من المال "حمل عجلة من حطب الطاغ بدرهمين من دراهمهم تكون زهاء ثلاث آلاف رطل "

ووصف لنا حالة السوق في الشتاء الطويل الشديد البرودة بالجرجانية، بأنه لا يجد أخدا بها "ولقد رايت الهواء بردها بأن السوق والشوارع لتخلو.....لا يجد أحدا أولا مستقبلة انسان"

1

ومن طقوسه المالية عند الصقالبة في حال الميراث ، ان الرجل منهم يرثه اخوه وولده، وهنا تدخل ابن فضلان وبين لهم ان هذا غير جائز في الإسلام ، وفقههم في علم الموارد.

وعن الضرائب التي يؤديها ملك الصقالبة الى ملك الخزر، ذكرانها لم تكن مالية، بل كانت بل كانت "من كل بيت في مملكته جله سمور"²، والسمور جنس حيوان لاحم مفترس مشهور عند الصقالبة .

ويذكر ابن فضلان، انه اذا قدمت سفينة من بلد الخزر الى بلد الصقالبة ، فان الملك يحصى مافيها ، ويأخذ من جميع ذلك العشر .

وقد وضح ان مملكة الصقلية تتمتع بالثراء ، وبلادهم غنية ، فقد سأل ملك الصقالبة قائلا "مملكتك واسعة و اموالك جمّة، و خراجك كثير، فلم سألت السلطان أن يبني حصنا سألته من عنده"³، والحقيقة كان رد ملك الصقالبة انه يتبرك بمال المسلمين في بغداد ، وكأنه يود ان يثبت أنه هو ومملكته المسلمة بروسيا جزء من المملكة والخلافة الإسلامية العباسية ، وهو اعتزاز بالانتماء الذي جسده روابط واواصل العقيدة الإسلامية.

¹ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص82.84.85

² ينظر: المرجع نفسه، ص132.145

³ ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص145.146

IIV- مظاهر الطعام واللباس والنظافة

1- الطعام

الطعام والشراب نعمتان من نعم الله ، التي سخرها للإنسان وبه يتذوق حلاوته ولذته ، مع اختلاف الشكل والطعم¹، ولا بد على المسلم دائما ان يتحرى في الحلال في المأكل والمشرب ويتعد عن الحرام².

ومعروف عندنا كمسلمين وجود ما يسمى بأداب الطعام مقتبسة من السنة التشريعية الله عن الاكل ، ومن غسل اليدين بعد الافراغ من الطعام ، ونأكل باليد اليمنى ، ولنا الحرية في ان نأكل اشتاتا او جماعة

والحديث عن اطعمة العصور الماضية من الموضوعات البدائية والمثيرة للاهتمام³، ولم يكن للطعام بصورتهم المعروفة اليوم وجودها آنذاك ، ثمة فنادق صغيرة ، لاطعام الطعام للمسافرين ، وما هو معروف عند العرب الكرم ، فقد كانوا يحرصون على اطعام الطعام ولو على حساب انفسهم .

ومن كل هذا نقول ان من اكثر حقوق الانسان أهمية لجمع الناس وفي جميع الأوقات ، هو الحصول علميات كافية ومتنوعة منها الأغذية الآمنة ، لكي لكي يلقى احتياجاته الأساسية، وتنمية قدراته الحسية والعقلية⁴، وعلى الانسان بدوره يشكر الله على نعمة العذاء.

وابن فضلان أيضا لم يغفل عن ذكر أحوال الطعام من الاقوام الى لقيها، لكننا سنذكر بعضا منها كتمثيل، فقد وصف البشغراد، وهم من الاتراك، حالهم مع الاكل ونوفره منهم "شر الاتراك واقدرهم"، حيث انهم ياكلون القمل، وحثنا ابن فضلان ايضا بان معهم واحد من هؤلاء، قد اسلم وكان يخدمهم، ورغم اسلامه، الا انه راه حين يجدملة في ثيابه فانه ياكلها ، بل وبعبير باستحسان عن مدى روعة طعامها.

وعن ادب الطعام عند الصقالبة وملكهم يسرد لنا ابن فضلان حالهم فيقول عن ملهم، "فدعا بالمائدة فقدمت وعليها اللحم المشوي وحده"

ومن غرائب عاداتهم في الطعام، ملكهم بيتدئز زحده بالطعام قبلهم، وذلك على النحو التالي: "فابتدا هو، فاخذ سكيناً، وقطع لقمة واكلها، وثانية وثالثة، ثم اجتز قطعة دفعها الى سوسن الرسول"، ولما تناول سوسن تلك القطعة جاءتته مائدة صغيرة له خصيصا

ن وهكذا فعل الملك مع كل واحد منهم، وهذا امر غريب عن عادة العرب، فالضيف اولى ان نكرمه ونقدمه على انفسنا.

¹ احمد محمد حسن، اداب الطعام والشراب، ط1، دار الغوثاني، دمشق، سوريا، 2006، ص16

² ينظر: المرجع نفسه، ص16

³ جون ويلكنز، الطعام في العالم القديم، ترجمة ايمان جمال الدين، د.ط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م، ص17

⁴ ينظر المرجع نفسه، ص20

الفصل الثاني: سيولوجيا السرد الحكائي في رحلة ابن فضلان (استخراج الأمثلة)

وبعد فراغهم من الطعام كما يحكي ابن فضلان، فما تبقى من المائدة كل واحد منهم، فانه يحملها الى منزله¹

فقد قص علينا ابن فضلان، تفاصيل الادب المتبعة حول هذه المائدة الملكية، مستشعرا راحة لهذا الادب، لانه لكل فرد مائدة لا يشاركه فيها احد².

ومن اكثر طعامهم لحم الداب، رم كثرة الحنطة والشعير، وانه لا يوجد عندهم زيوت، وانما يعوضونه بدهن السمك، لذلك اي شئ يستعملونه يصبح رائحته كريهة، بسبب دهن السمك.

وعن وصنف طعام بالجرجانية، ذكر ابن فضلان عند انقضاء الشتاء بها وهمتهم بالرحيل انهم تزودوا بالطعام: "وتزودنا الخبز والجاورس والنمكسوذ"³
2- اللباس:

يرتبط موضوع اللباس ارتباطا وثيقا بوجود الجنس البشري من النبي آدم عليه السلام⁴ وقصة آدم وحواء مع عدو الله ابليس في الجنة مشهورة .

فقد نهاهما الله عن الاكل من الشجرة، لكن الشيطان وسوس لهما حتى اكلا منها ، وحدث ما حدث كما يعلم ، حتى طفقا يخرسان عليهما من ورق الجنة ليستترا وقد وجهه الله الى أهمية اللباس⁵.

فاللباس يحفظ يحفظ جسم الانسان من تقلبات الجو المختلفة⁶، فنجد في فصل الصيف اللباس يختلف عنه في فصل الشتاء وغيره من الفصول.

بل لكل مناسبة قد نجد ما يناسبها من لباس، فملابس العمل ليست هي ملابس النوم وقس على ذلك، وقد تعددت الدوافع والاسباب في اختلاف اشكال الازياء والالبسة نذكر منها⁷ :

1- الظروف الجغرافية، قد تخضع سكانها على ارتداء البسة خاصة

2- اسباب اخلاقية ودينية ، تجعل من لباس ما مثلا له شروط خاصة عندما يتصل بلباس الخروج او امام الاجانب ، ويختلف لباسها امام محارمها⁸

بل نجد كثيرا من القبائل العرب قديما، تساءهن يستترن بستر غاب للبدن، سواء الوثنيين منهم او الكتابيين¹، واما بالنسبة للرجل نجد ان الاسلام حرم عليه لبس الحرير وانه من الكبائر من غير الضرورة، وجاهزه في حال التداوي به كالحكمة²

¹ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص115، 107، 106.

² ينظر: فؤاد قنديل، ادب الرحلة في التراث العربي، ص169

³ ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص86، 130.

⁴ محمد عبد العزيز، اللباس والزينة في الشريعة الاسلامية، ط1، دار النفائس، عمان، الاردن، 2009م، ص19

⁵ ابو سعي بلعيد، توجيه النظر الى احكام اللباس، 2، دار الامام مالك، الجزائر، 2007م، ص67

⁶ ينظر، محمد عبد العزيز، اللباس والزينة في الشريعة الاسلامية، ص27

⁷ ينظر: محمد عبد العزيز، اللباس والزينة ص29

⁸ ينظر: ابو سعيد بلعيد، اللباس والزينة، ص29

الفصل الثاني: سيولوجيا السرد الحكائي في رحلة ابن فضلان (استخراج الأمثلة)

3- الذوق، فكل امة او دولة او مجتمع ميل خاص لنوع معين من انواع الالبسة قديستحس في مجتمع ما وغيره قد يستهجنه ونفس الشئ بالعكس

4- اسلوب المعيشة، فطريقة لبس عمل الفلاحة مختلف عن الطبيب او الجندي

5- الوضع الاقتصادي ، فالمجتمعات الغنية يتعكس لباسها ويدل على اكتفائها الذاتي بل وحتى اسرافها عكس المجتمعات الفقيرة.

وابن فضلان لم يغيب هذا الجانب في رحلته على ذكر مظاهر اللباس والفراش والغطاء، فقد ذكرنا كيف كان شتاء الجرجانية يتسم بالبرد الشديد وكان وضعهم مع هكذا حال: "مدثر بالاكسية والفرى" وهو نوع من الغطاء الذي يحميهم من البرد الشديد.

وا احدهم نصحهم بالاحتياط من البرد الذي يلقبونه في طريق خروجهم لعبور الانهار التي لا بد من عبورها لاكمال الرحلة، نصحهم بالتزود والاكثر من اللباس والثياب ، ورغم اخذهم بالنصيحة واخذ احتياطاتهم، الا ان ماحدث معهم كان اضعاف ماوصف لهم من البرد، ورغم انهم كما قال: "فكان كل رجل منا عليه قرطق وفوقه خفتان، وفوقه بوسنتين وفوقه لبادة وبرنس ... وسراويل طاق، واخر مبطن واران وخف كمخت، وفوق الخف خف اخر"

وهي اسماء لثياب ارتادوها لتدفنتهم، وقد لا نفقه اغلب مسقيات هاته الالبسة الا اذا رجعنا الى البحث عن معانيها.

هاته الكمية من الالبسة التي لبسوها تجعل الواحد منهم اذاعة ركب الجمل لم يقدر ان يتقدم بسبب ثقل الملابس عددها الهائل.

وسردلنا ابن فضلان عن قوم الغزية من احوال لباسهم ،بلن النساء لا يستترن من الرجال، وهذا امرضد ما اعتاده ابن فضلان من ستر وحشمة وحجاب

اما عن لباس الصقالبة فقال:"كلهم يلبسون القلانص"، وهي عبارة عن غطاء يوضع على الراس .

وعن لباس الروس يقول : يلبس الرجل منهم كساء ويشتمل به على احد شقيه، ويخرج احدى يديه منه"³

3- النظافة :

ف نجد أن الانسان المصري القديم مثلا، حرص على النظافة و عدها من الضروريات الأساسية في حياته اليومية، سواء نظافة بدنه أو مسكنه أو ملبسه، فهي لم تكن سبيلا للصحة عنده فحبيب، بل هي عقيدة و شرط أساسيلدخول الأماكن المقدسة.¹

¹ عبد العزيز الطريفي، الحجاج في الشرع والفطرة، ط1، دار المنهاج، الرياض، السعودية، 1436هـ، ص58

² عبد القادر القادرشية، فقه الاسلام، ص 263، 264، 267

³ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص149، 131، 85

إن الإسلام أعطى النظافة و الطهارة الحسية اهتماما كبيرا، أكثر من أي دين أو مذهب، سواء كان هذا الاهتمام بالنسبة لجسمه أو ثيابه أو فراشه أو مطعمه و مشربه و مكانه.² إن التخلص من الأوساخ و العوامل التي تجمعها يعد من أهم أركان الزينة و الجمال.³

و النظافة و الطهارة من الإسلام وسيلة من وسائل تكفير الذنوب من خلالا الوضوء⁴، و وسيلة و سبيل لمناجاة الله تعالى، فتعددت أبواب الطهارة في الإسلام من وضوء و غسل و تيمم، سواء في حال الصحة أو المرض، أو في حال توفر الماء من عدمه، وهذا حرصا على أن يكون المسلم في أتم النظافة و الطهر، و النظافة سبيل للارتياح النفسي أيضا.

فحتى هذا الموضوع ابن فضلان نقل لن أحداثا حول أحوال النظافة عند الأقوام التي زارها، فعن قوم الغزية ذكر بأنهم قوم لا يتمتعون بالنظافة و الطهارة، لا من الحدث الأصغر و لا من الحدث الأكبر⁵.

بل ذكر أنه في حالة أن أحدهم اراد الاغتسال، فانه لا بد عليه ان يغتسل إلا ليلا بحيث لا يرونه و لا يعلمون بأمره، و هذا لأنهم يعتقدون أنه لو خالف مبدأهم هذا فمعناه يريد أن يسحرهم، و يغرمونه مالا عقابا على مخالفته⁶.

و عن الباشغراد أنهم شر الأتراك و أقدرهم كما وصفهم ابن فضلان عن حال نظافتهم⁷.

و عن الروس قال ابن فضلان: "أقدر خلق الله" لأنه حسبما شاهده عنهم أنهم لا يتطهرون لا من الحدث الأصغر و لا الأكبر، و لا يغسلون أيديهم بعد الفراغ من الطعام و رغم قدراتهم فإن لهم طريقة غريبة حول مفهومهم و نظرتهم للنظافة، فقد وصف ذلك ابن فضلان قائلا: " لا بد لهم في كل يوم من غسل و جوههم و رؤوسهم بأقدر ماء يكون" لأن الجارية عندهم تقوم بإحضار قصعة كبيرة فيها ماء إلى مولاها، فيغسل داخلها يديه و وجهه و شعر رأسه و تسريحه بالمشط في القصعة و غيرها من الأشياء القذرة التي يعجز الانسان حتى على ذكرها، و الأغرب أن نفس القصعة يدفعها إلى صاحبه حتى يفعل بها ما فعله الأول، و هكذا الى أن تدور القصعة على كل مكان في البيت⁸.

v - طباع و أخلاق :

1 ينظر: حسن أيوب، فقه العبادات، ط2، دار السلام، القاهرة، مصر، 2003م، ص15.
2 ينظر: إيمان أحمد، النظافة، 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1999م، ص9.
3 محمد بن ابراهيم، عنابة الإسلام بالصحة و النظافة، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1436هـ، ص3
4 ينظر: سعاد سطحي، فقه الطهارة و الصلاة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2011م، ص12، 13.
5 ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص92.
6 ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص94.
7 ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص106.
8 المرجع نفسه، ص151، 152.

لقد وضع بعض الرحالة العرب و المسلمين بعض المقاييس لتحديد أخلاق و طبائع بعض الشعوب التي زاروها، فمنهم من يتأثر بعن الطقس من حرارة و ضغط، و أمطار و غيرها، و منهم من يتأثر بسبب البيئة المكانية من جبال و هضاب و صحاري¹.

و تعد مكارم الأخلاق من الأسباب التي تجعل القلوب محبة لمن اتصف بها و تهفوا النفوس إليه، لأن مكارم الأخلاق من صفات الأنبياء و الصديقين و الصالحين، بها تنال الدرجات و ترفع المقامات، و حتى رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم بعث ليتم مكارم الأخلاق، و قد كان خلقه القرآن.

و نجد أن العلماء قد اختلفوا في حقيقة الأخلاق أو الطباع أو السجاياء، فمنهم من رآها فطرية يولد بها، و آخرون يردون بأنها مكتسبة يمكن إصلاحها، و لكن الأصح منهما جمع بينهما.

و الأخلاق الحميدة في ديننا لها أهمية لعدة أسباب منها²:

1. أنها امتثال لأمر الله سبحانه و تعالى.
2. أنها طاعة لرسول الله عليه الصلاة و السلام.
3. سبب لمحبة الله و لمحبة رسوله.
4. أعظم سبب لدخول الجنة بعد تقوى الله.
5. أنها كمال الدين بعد التوحيد.
6. أنها عبادة عظيمة.
7. أنها سبب لتعمير الديار و زيادة الأعمار.

و سبب الأخلاق و الصور السلوكية في تأثيرها في انتشار الإسلام في بعض المناطق التي لم يصلها الفتح الإسلامي، اذ دخل فيه شعوب بكاملها، لما رأوا القدوة الحسنة مرتسمة خلقاً³ حميدا في المسلمين الذين سافروا اليهم.

و من الجميل أن أحمد بن فضلان قد أورد لنا بعض السلوكيات و الطباع و الأخلاق التي صادفها في رحلته، إنه مرآة تعكس فترة زمنية صور فيها تصرفات الناس، فقال عند وصولهم الى خوارزم و دخولهم على أميرها واصفا طبعه و معاملته: "فأكرمنا، و قربنا، و أنزلنا داراً".

أما عن طباع و أخلاق قوم المرجانية فقال: " هم اوحش الناس كلاما و طبعاً".

¹ ينظر: عباس جببر و آخرون، أخلاق الشعوب، ط1، تمورة، دمشق، سوريا، 2014، ص14.

² ينظر: فيصل الحاشدي، الأخلاق بين الطبع و التطبيع، د، ط، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر، 2003م، ص9، 11، 5.

³ ينظر: خالد بن جمعة، موسوعة الأخلاق، ط1، مكتبة أهل النسر، الكويت، 2003، ص6.

و رغم ذلك فإنه سرد لنا بعض العادات الأخلاقية لهم التي يمكن تصنيفها ضمن الكرم و السخاء في شتائهم شديد البرودة، فإذا أراد أحدهم أن يبر و يضع خيرا لشخص ما، فإنه يدعو الى منزله و يكرمه بأن لديه ناراً، و هذا يعني وجود دفيء و حرارة تحميه من زمهرير الشتاء فيقول الرجل لهذا الضيف " تعال إلي نتحدث فإن عندي ناراً طيبة".¹

و ذكر ابن فضلان أن السائل عندهم، لا يقف عند باب الدار، بل يدخل مباشرة و يصطلي بالنار، و يمكنه بعدها أن يطلب منهم خبزاً، فإن أعطوه أخذ إلا غادرهم.²

و يروى لابن فضلان أيضاً، عن رجل لقوه في طريقهم، و هو من الأتراك فيقول: " لقينا رجلاً واحداً من الأتراك، ذميم الخلقة، رث الهيئة، قميئ المنظر، خسيس المخبر"، وصف لنا حال ملبسه و خلقه، و يبدو أن الرجل ذو بأس، لأنه بمجرد أن طلب منهم التوقف، توقفت القافلة بأسرها سمعاً و طاعة له، و كان المقابل للسماح لهم بالانصراف الخبز، فأعطوه منه أقرضاً، فيقول لهم: " هروا قد رحمتكم".

و من أخلاق الأتراك، انه اذا دخل الرجل أكرم غيره، سجد له، " وهذا رسمهم، اذا أكرم الرجل الرجل سجد له".

و من المناطق التي وصلوا لها من الأتراك، قبيلة البجناك فقد وصفهم ابن فضلان " وهم سمر شديدة... و هم محلقوا اللحى، فقراء خلاف الغزية".

أما الباشغراد، وصفهم بأنهم أتم أبداناً و شقر حمر، مع كل واحد منهم أس و سيف و سكين لا يفارقه أبداً، و هذا و ان دل فإنه يدل على بأسهم و شدتهم و قوتهم³، لكنهم أيضاً مستهترون جداً بالنبيذ ليلاً و نهاراً، بل لربما مات أحدهم و في يده القدرح.

VI - الجنائز و الأموات:

الموت آية من آيات الله عز و جل، و معجزة من معجزاته سبحانه و تعالى، فلا يوجد قوة على وجه الأرض تقف في وجهه.⁴

و نحن كمسلمين في حال الحزن على الميت يجوز شرعا البكاء عليه من غير نياحة، و لا رفع صوت، و لا نقول الا ما يرضي الله عز و جل.

و من الأمور التي أمرنا بها الشرع في حال الموت، ان نسارع الى تغسيل الميت و تكفينه و دفنه، و من الشعائر المعروفة في الجنائز الإسلامية ألا و هي التعزية، فهي تجسد معاني المشاركة في الحزن، فالمسلمون كالجسد الواحد، بفرحون لبعض و يحزنون لبعض و أيضاً الترحم و الاستغفار للميت و الدعاء له، و التخفيف على أهل الميت في مصابهم و تفقد حوائجهم، و إدخال الأمن عليهم⁵ و هذا عكس ما سنراه عند بعض الاقوام

¹ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص82،83،80.

² ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص84.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص107،106،99،98.

⁴ سيد فؤاد بن سيد، الجنائز، د، ط، مركز و ذكر، الكويت، 2012م، ص3.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص12،8.

التي مر بها ابن فضلان، من عدم احترام حرمة الميت، و عدم دفنه و تركه للطيور الجارحة، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

و عليه مادام الموت أمر محتتم، و مادامت الحياة الحقيقية هي ما بعد الموت، فإن الحياة الدنيا ماهي الا عدة استعداد بالعمال الصالحة لأجل نيل الدرجات العلى، و هناك من بفرط في الخير و البر، فيندم عند الاحتضار و قرب الأجل، و يسأل طول الحياة و لو شيئاً يسيراً ليتدارك ما فاتته.¹

و قد تتعدد الأسباب المؤدية للوفاة من مرض أو حرب أو حتى من دون سبب، لأن الموت سنة الحياة.²

و الان لننتقل في سرد بعض الاحوال او الطقوس الجنائزية التي عاينها ابن فضلان في طريق الرحلة، فعن احوال الموتعد قوم الغزبية فان الامر فيه اختلاف و تباين، على حسب طبقة الشخص و مكانته فان كان ذا مكانة فإن هذا ما يحدث معه "و اذا مرض الرجل منهم و كان له جوار و عبيد خدموه و لم يقربه أحد من أهل بيته، و يضربون له خيمة، ناحية من البيوت، فلا يزال فيها الى أن يموت أو يبرأ"، لكن اذا كان هذا المريض مرض الموت و كان رجلاً فقيراً أو من العبيد، فإن الأسوأ ما يحدث له: " و إن كان عبداً أو فقيراً، رموه في الصحراء و ارتحلوا عنه"، فهذه طباعهم و طقوسهم مع مرض الموت.

و سرد لنا بعض جنائزهم فان كان من علية القوم او ممن يتمتعون بالثراء " و اذا مات الرجل منهم حفروا له حفرة كبيرة، كهيئة البيت، و عمدوا اليه، فألبسوه قرطقه و منطقته و قوسه" و يضيف على ذلك أيضاً بأن يجعلوا في يده قديماً من خشب من نبيذ، بل كذلك يحضرون جميع ما يملكه من مال فأرفقوه مع الميت في ذلك البيت ثم يسجلونه داخله، و بعدها يضيفون سقف البيت عليه، و من فوق السقف قبة من طين.³

ثم يعمدون الى دواب الميت، فيقتلون منها مئة رأس الى مئتين أو الى رأس واحدة، ثم يأكلون لحومها و يستتنون من ذلك الرأس و القوائم و الجلد و الذنب، و يقومون بصلبها على الخشب، و ليس هذا فحسب ما يحدث في طقوسهم حول الميت، فقد فصل ابن فضلان و وصف المشاهد بدقة فقال: " فإن كان قتل انسان و كان شجاعاً نحتوا صوراً من خشب على عدد من قتل، و جعلوها على قبره" و عللوا السبب " هؤلاء غلمانة يخدمونه في الجنة".

و يزيد ابن فضلان في ذكر التفضيلات عن طقوسهم الجنائزية بأنه في حالة تغافلوا عن قتل الدواب ليوم أو يومين، فإن أحد شيوخهم يخبرهم بأنه رأى ي منامه أن الميت لم يلحق بأصحابه من الموتى لأنهم سبقوه، بل و أن التعب اشتد به جراء محاولته اللحاق بأصحابه، فيعمد الأحياء الى ذبح دوابه بعد هذا الحلم ثم يخبرهم نفس الشيخ مجدداً أنه قد رآه في

¹ ينظر: سعيد بن علي، أحكام الجنائز، د، ط، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، السعودية، 1425هـ، ص6.

² ينظر: حسين أحمد، الموت في الشعر الجاهلي، ط1، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر، 1991م، ص31.

³ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص99.

الفصل الثاني: سيولوجيا السرد الحكائي في رحلة ابن فضلان (استخراج الأمثلة)

منامه بحال أفضل فقد لحق بأصحابه و استراح، طبعاً يقصد الميت، بل يضيف أن الميت قد ساعدته دوابه على الاسراع به و دخلت معه الجنة.¹

أما عند الروس، فإن طقوسهم الجنائزية أشبه ما تكون عند الغزية في حال مرض الموت " و إذا مرض منهم الواحد، ضربوا ه خيمة ناحية عنهم، و طرحوه فيها، و جعلوا وجعلوا معه شيئاً من الخبز و الماء ولا يقربونه ولا يكتمونونه".

و هم لا يدفنون موتاهم، بل يحرقونه في حالة أنه لم يكن عبداً مملوكاً، لأن العبد عندهم يتركوه ميتاً على حاله حتى تأكله الكلاب و جوارح الطير، أما عن الرجل غير العبد و الفقير، فإنهم يضعون له سفينة صغيرة، و يحرقونه داخلها، أما الغني فإنهم يجمعون ماله على ثلاثة أقسام: لأهله و لثيابه التي سيلبسونه ايها و هو ميت، و الثلث الخير لنبيذ يحتفلون به في جنازته يوم يحرقونه.²

و عندهم امرأة عجوز تسمى ملك الموت، تتولى قتل الجارية التي تتبع مولايها يوم جنازته لتكون معه و تحرق برفقته بعد أن تطعنها تلك العجوز.

و ذكر ابن فضلان أن أحدهم قال له: " أنتم يا معشر العرب حمقى... أنكم تعمدون الى أحب الناس اليكم و أكرمهم عليكم، فتطرحونه في التراب"، لأنه حسب اعتقاد هذا الرجل أنه عندما يحرقون موتاهم فإنه يدخل الجنة من فوره و من ساعته، لا من بعد أن تأكله الهوام الديدان في التراب بعد وقت طويل.

أما عن الغزر تحدث ابن فضلان عن طقوس الموت عندهم فقال: "الملك الأكبر اذا مات... يبني له دار كبيرة فيها عشرون بيتاً، و يحفر له في كل بيت منها قبر"³ و أن تحت الدار نهر كبير يجعلون فوق ذاك النهر القبر، زعماً منهم و اعتقاداً حتى لا يصله الشيطان و انس و لا دود و لا هوام، و تضرب أعناق الذين يدفنونه حتى لا يعلم أين قبره.⁴

كانت هذه بعض الطقوس لدى القبائل التي صادفها ابن فضلان حول الميت و الموت و حال مرضى الموت، تجعلنا نقف باحترام أمام تعاليم الإسلام الذي كفل حق الإنسان و هو حي و كذلك و هو ميت فكرمه بدفنه و اتباع طريقة سلامية في جنازته لتحفظ كرامته و حرمة فالحمد لله على نعمة الاسلام.

V – أسلوب العيش والسكن :

البيت أو المنزل أو المكان الذي نعيش فيه، نعمة من نعم الله تعالى على عباده⁵، فقد لجأ الانسان في عصور ما قبل التاريخ الى الكهوف قفي الجبال، كي يحقق لنفسه

¹ ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص100،99.

² ينظر: المرجع نفسه، ص156،155،154.

³ ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص170،164،162.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص170.

⁵ ينظر: أم سندس، نصائح و ارشادات منزلية، ط1، دار الطباعة المتميزة، القاهرة، مصر، 1997م، ص7.

الفصل الثاني: سيولوجيا السرد الحكائي في رحلة ابن فضلان (استخراج الأمثلة)

الخصوصية، و يحتمي من الظروف المناخية، و من الحيوانات المفترسة و من أعدادته من البشر.

و مع الزمن طور الانسان مسكنه و ملاذه الذي يأوي اليه، خاصة أنه بات يحقق له احتياجات نفسية و اجتماعية، فو ليس عبارة عن مكونات مادية من سقف و حجارة و حائط و باب، بل هي مكان يعكس فيه السكينة و الهدوء و حتى السعادة.¹

والله سبحانه و تعالى يقول: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾²

فالبيت و المسكن اذن يعبر عن الاستقرار و الديمومة،³ فهو سكن و حماية و لم شمل بين أفراد الأسرة و لبنة أولى من لبنات بناء المجتمع.

و قوم الغزية من الأقوام التي سرد لنا ابن فضلان حال عيشهم و مسكنهم فقال "و اذا هم بادية، لهم بيوت شعر، يحلون و يرحلون ترى منهم الابيات في مكان، ومثلها في مكان آخر... اذا هم في شقاء"⁴

و من عادات لاقامة عندهم، لما يصادق من صديقا مسلما فانه يضرب له قبة و يحمل اليه من الغنم على قدره حتى يتولى المسلم ذبحها لان الترك اي قبيلة الغزية لا يذبحون على عادة المسلمين، و انما يضرب الواحد منهم راس الشاة حتى تموت.⁵

و عندما كان ابن فضلان عند ملك الصقالبة وصف لنا حال عيشه و اسلوب حياته، فنحدث عن سريره فقال، ".... سري مغشى بالديباج الروسي"، وهذا يدل على رغد العيش عند الصقالبة .

وكلهم في قباب ، الا ان قبة الملك اكبرهم بكثير، فهي تسع لحوالي لحوالي الف شخص او اكثر، مفروشة بالفرش الارمي.

و اما الروس، فان ملكهم لديه قصر، و عنده سرير عظيم و هو مرصع بانفس الجواهر.

اما مساكن الجرجانية فقد وصفها قائلا : "ولقد كنت انام في بيت جوف بيت، وفيه قب لبود تركية"⁶، اي من شعر او صوف متلبد

هذه كانت بعض النماذج حول حال السكن و العيش التي صادفها و دونها في رسالته.

II- المرأة:

¹ نوبي محمد حسن، تصميم البيت الحديث، د،ط، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم و التقنية، الرياض، السعودية، 2009م، ص17.

² سورة النحل، الآية 80.

³ ينظر

⁴ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص18

⁵ ينظر: ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص85، 95، 115

⁶ ينظر: المصدر نفسه، ص131، 165

الفصل الثاني: سيولوجيا السرد الحكائي في رحلة ابن فضلان (استخراج الأمثلة)

المرأة هي ذلك المخلوق الذي احتار الفلاسفة في فهمه وتعريفه، فاسرره لاتنقضي، وعجائبه لاتنتهي ، فقد خلقها الله تعالى من ادم عليه السلام وهي البنت والام، والخالة والعمة والزوجة والجدة والاخت.¹

والمرأة في المجتمع الاسلامي، حفظ الله لها حقوقها وكرمها، وبيّن لها واجباتها وادوارها المنوطة بها مع الرجل معاً، لاعمار هذه الارض والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على خد سواء.

ووضع المرأة قبل ظهور الاسلام كان في غاية الانحطاط والتدني ولم يكن هذا الحال يقتصر على العرب ، بل حتى الامم الاخرى اساءت الى الى المرأة، فالاغريق كانوا يعتبرونها من المخلوقات المنحطة ، ونفس النظرة نجدها عند الصينيين والايطاليين والاسبان والرومان وغيرها.

لكن مع مجئ الاسلام قضى على تلك العادات التي ظلمت المرأة وذلك وفق آيات صريحة واحاديث شريفة تكفل المرأة مكانتها ورفع قدرها²، واحتفظ بحقوقها كاملة حتى السياسية منها³.

فالاسلام حمى المرأة عكس المجتمعات الاخرى حتى المتطورة منها في العصور الماضية كالمجتمع البيزنطي كان مجتمعا ابويا يتسم بسيادة الرجل⁴.

ونتساءل هنا : هل ذكر احمد بن فضلان شيئاً عن المرأة في رحلته ، الجواب هو نعم، لكننا سنذكر ذلك على سبيل المثال كنماذج لا كل ماورد عنها في مدونته لانه قد اسهب في ذكر امرها كما فعل مع الظواهر الاجتماعية الاخرى .

فعن نساء روسيا فقد راي ان كل امراة متزوجة تضع اطواق في عنقها من ذهب وفضة على حسب مقدار مال زوجها، فكلما زاد مقدار مال زوجها عشرة الاف يزيد لها طوقا جديداً، فيقول ابن فضلان بهذا الصدد: "فربما كان في عنق الواحدة منهن الاطواق الكثيرة"⁵

اما المرأة الجارية عندهم ، لما يموت سيدها فانها تموت وتحرر مع اولدها، بعد ان اختارت اللحاق به.

وعن ملك الخزر يقول ابن فضلان ان له خمسا وعشري امراة، وان كل مرأة منهن، ابنة ملك من الملوك الذين يجاورونه اما اخذها طوعية او غصبا.

¹ ينظر: زكي على ، المرأة في اليهودية والمسيحية والاسلام، ط1، دار الوفاء، المنصورة مصر، ص7

² ينظر: رواية شافع المرأة في المجتمع الاندلسي، ط1، دار عين ، مصر، 2006م، ص12، 11

³ حسن البناء، المرأة المسلمة، ط2، دار الكتب القاهرة ، مصر، 1407هـ، ص7

⁴ ينظر، عيد العزيز رمضان ، المرأة والمجتمع، د، ط، العربية للنشر، القاهرة ، مصر، 2005، ص5

⁵ ينظر: ابن فضلان، رسالة بن فضلان ، ص150

وتحدث عن جوارى ملك الخزر فوصف بانهن فائقات الجمال، فقال ابن فضلان: "مامنهن الا فائقة الجمال"¹

IV- اللغة واللهجات:

تعد اللغة اسمى ما حبها الله تعالى للانسان من بين مخلوقاته على سطح الارض ، وانها
نعمة كبيرة²

وقد اختلفت الآراء و النظريات حول نشأة اللغة العربية ، و كيف كانت أول مرة ، فمنهم من يرى أنها هبة ربانية مباشرة ، ومنهم من يرى أنها نشأت بفعل الإصطلاح و ما توضع عليه الناس ، و آخرون ويرونها بفعل المحاكاة و تقليد لأصوات الطبيعة و الحيوان .

و على الرغم من التقدم في البحوث و النظريات ، تظل اللغة العربية لغزاً يصعب فهمه ، بل و العجيب أن اللغة العربية ليست لغة واحدة³ ، بل توجد الألاف من اللغات و اللهجات على مستوى العالم ، و على مر الأزمنة فهناك لغات أندثرت و أخرى تطورت ، و أخرى كتب لها الخلود إن جاز التعبير .

و عليه فإن الرحالة عبر العصور و إنتقالهم إلى آخر ، قد لا حظوا بأنفسهم هذا الاختلاف و التباين و التنوع في الثروات اللغوية من بين هؤلاء الرحالة صاحب مذكرتنا ابن فضلان .

يقول ابن فضلان أنه على ميسرة يوم بالجرجانية توجد بها قرية تدعى "أردكو" ، و وصف كلامهم و شبهه بنقيق الضفادع : {كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع} .
أما عن الجرجانية فوصف كلام قومهم بقوله : {هم اوحش الناس كلاماً} ، ودقق في وصف كلام قومهم بقوله : {كلامهم أشبه شيء بصياح الزراير} .
و قد ذكرنا ابن فضلان كلمة من كلامهم و ترجمتها فهذا من فوائد التفسير و الرحلة بأن نجعل الواحد منا قد يتعلم بعضاً من لغة القوم الذين زارهم ، فقد قال عن عز و جل من الجرجانية يطلب خبزاً : { " بكند" يعني الخبز} .

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص171، 156

² حسام البهنساوي، اللغات الانسانية، د.ط، الاكاديمية الحديثة، كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، مصر، 2015م، ص3

³ ينظر: المرجع نفسه، ص29، 30

الفصل الثاني: سيولوجيا السرد الحكائي في رحلة ابن فضلان (استخراج الأمثلة)

و عند لقائه بقوم الغزية أن أحدهم إذا اظلم أو جرى عليه أمرٌ يكرهه فإنه يرفع رأسه نحو السماء قائلاً : {بير تنكري} ¹، و ترجمها أحمد بقوله : " الله الواحد لأن بير بالتركية واحد و تنكري الله بلغة الترك } ².

ومن الكلمات التي أوردها ابن فضلان في رحلة "بيغو" ³ و تعني الأمير ، و هو لقب يُطلق على ملك الترك الغزية .

و كانت هذه نظرة موجزة على اللهجات التي ميزت بعضاً من القبائل التي مرت بها رحلتنا الدقيق الملاحظة المدون لتفاصيل جعلتنا نعيش الرحلة معه كأننا من ارتحلنا و سافرنا . وهذا سبب أسلوبه السردي الجميل.

¹ ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص82،84،92

² المرجع نفسه، ص29

³ المرجع نفسه، ص101

الختمة

أدب الرحلة من الفنون الأدبية الشائقة و أمتعها و أقربها إلى القراء ، لا لتصاق هذا الفن بواقع الناس و حياتهم ، و امتزاجه بفنون أخرى مثل القصص و المذكرات ، و قد تولى كتابته رحالة متنوعون في ثقافتهم و علومهم ، مما أدى إلى اختلاف اهتماماتهم ، فيما ينقلون و يدونون ، فمنهم من نقل عادات و تقليد و ثقافة و لغة ، و منهم من اغتنى بنقل جغرافية البلاد التي ارتحل اليها و ذكر أثارها و مناخها و توزيع سكانها ، و طبيعتهم و معالمهم الحضارية ، فعليه تكمن أهمية أدب الرحلة كونه و ثائق تاريخية و جغرافية و اجتماعية و ثقافية ، و يعد ابن فضلان أهم الرحالة في فن أدب الرحلة.

قائمة المراجع والمصادر

* القرآن الكريم، رواية ورش ، مصحف الكتروني

اولا: المصادر

- 1- ابن فضلان، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق سامي الدهان، دمشق، سوريا، 1959م
- 2- احمد بن فضلان، رحلة ابن فضلان ، تقديم: شاعر العبيبي، طبعة 1، دار السويدي ، 2003م

ثانيا: المراجع

- 3- ابو سعيد بلعيد بن احمد، توجيه النظر، الى احكام اللباس والزينة والنظر، ط2، دار الامام مالك، باب الوادي، الجزائر، 2007م
- 4- انيس ابراهيم، حول العالم في 200 يوم، د.ط، د.د، ذبت، دب
- 5- انيس منصور، أعجب الرحلات في التاريخ، ج1، د.ط، سلسلة جدران المعارف، د.ط، 2006م
- 5-ام سندس، نصائح وارشادات منزلية للمرأة المسلمة، ط1، دار الطباعة المتميزة، القاهرة، مصر، 1997م
- 6- احمد محسن حسن، اداب الطعام والشراب، ط1، دار الغوثاني، دمشق، سوريا، 2006م
- 7- ايمان احمد ابو بكر، النظافة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1999م
- 8- اسيوطي، تاريخ الحلفاء، ط2، دار المنهاج، بيروت، لبنان، 2013م
- 9- احمد عبد السلام البقالي، مغامرات سفير عربي، ط1، مكتبة العبيكات، الرياض، السعودية، 2003م
- 10- احمد سويلم، اشهر العقائد الدينية في العالم، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2011م
- 11- احمد توني عبد اللطيف، يهود الخزر، د.ط، دار العلوم، المنيا، مصر، 2015م
- 12- احمد عادل كمال، الجمهوريات الاسلامية باسيا الوسطى ، ط1، دار السلام، القاهرة، مصر، 2006م
- 13- جورج غريب، أدب الرحلة ، ع7، ط1، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، 1966م

- 14- حسين محمد فهيم، ادب الرحلات، ع138، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 1989م
- 15- حسين احمد عبد الحميد، الموت في الشعر الجاهلي، ط1، مطبعة الحسين الاسلامية، القاهرة، مصر، 1991م
- 16- حسن البناء، المرأة المسلمة، ط2، دار الكتاب، القاهرة، مصر، 1407هـ
- 17- حسن ايوب، فقه العبادات، ط2، دار السلام، القاهرة، مصر، 2003م
- 18- خزعل المجادي، علم الاديان، ط1، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، المغرب، 2016م
- 19- خالد الصايغ، النقود الاسلامية، د.ط، المجمع الثقافي، ابوظبي، 2002م
- 20- خالد بن جمعة الحراز، موسوعة الاخلاق، ط1، مكتبة اهل النشر، الكويت، 2009م
- 21- خالد التوازني، الرحلة وفتنة العجيب، ط1، دار السويدي، الامارات، 2017م
- 22- زكريا ابراهيم، الزواج والاستقرار النفسي، ط2، مكتبة مصر، مصر، 1978م
- 23- رواية عبد الحلیم شافع، المرأة في المجتمع الاندلسي، ط1، دار عين، مصر، 2006م
- 24- زيد بن محمد الرماني، حصی الشراء، د.ط، دار الوطن، الرياض، السعودية، د.ت
- 25- زكي على السيد ابو غصته، المرأة في اليهودية والمسيحية والاسلام، ط1، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 2003م
- 26- زبيد عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، د.ط، دار الكتاب الحديث، الكويت
- 28- محمود المصري، الزواج الاسلامي السعيد، ط1، دار البيان، القاهرة، مصر، 2006م
- 29- محمد احمد الافندي، النقود والبنوك، ط1، دار الكتاب، جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، 2009م
- 30- محمد عبد العزيز عمرو، اللباس والزينة في الشريعة الاسلامية، ط1، دار النفائس، عمان، الاردن، 2009م
- 31- محمد بن ابراهيم الحمد، عناية الاسلام بالصحة والنظافة، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1436هـ
- 32- محمد بن عبد الملك الزغبی، مائة من عظماء امة الاسلام، ط1، دار التقوى، مصر، 2010م

- 33- محمود شاكِر، التاريخ الاسلامي، المجلد17، ط2، المكتب الاعلامي، بيروت، لبنان، 1996م
- 34- محمد بن ناصر العبودي، بلاد التتار والبلغار، العدد188، رابطة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، 1420هـ
- 35- زيارات المسلمين في بلاد الروس والباشقرد، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض السعودية، 2000م
- 36- في بلاد المسلمين المنسيين ، ط1، وزارة الاعلام، دب، 1991م
- 37- الرحلة الروسية، ط1، د.د، دب، 1993م
- 38- محمد مؤنس عوض، في رحاب الحضارة الاسلامية، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2010م
- 39- محمد عبد الشافي المغربي، مملكة الخزر اليهودية، د.ط، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، 2002م
- 40- نوبي محمد حسن، تصميم البيت الحدي، د.ط، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية، الرياض، السعودية، 2009م
- 41- نقولا زيادة، من رحلات العرب، ج4، د.ط، الاهلية للنشر والوزيع، بيروت، لبنان، 1974م
- 42- عبد الله مرغي، الزواج والطلاق في جميع الاديان، ع24، د.ط، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، د.ط، 1966م
- 43- عبد الله عبد الجبار، الزواج والطلاق واثاره النافعة، د.ط، د.د، دب، دب، دب
- 44- عاطف منصور، النقود الاسلامية، ط1، زهراء الشرق، القاهرة من مصر، 2008م
- 45- عبدالقادر شيبية، حقه الاسلام، ج2، ط7 مؤسسة علوم القرآن، مشتق، سوريا 2011م. 46- عبدالعزيز بن مرزوق الطريفي، الحجاب في الشرع الفطرة، ط1 دار المنهاج، الرياض، السعودية 1436هـ.
- 47- عباس جبير وآخرون، اخلاق الشعوب، ط1، تموزة، دمشق، سوري 2014م
- 48- عبد الواحد ذبون طه، الرحلات المتبولة بين الغرب والشرق، ط1، دار المدار الاسلامي، بنغازي، ليبيا ، 2005م.

- 49- عبدالعزيز رمضان, المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية, ط6 مصر العربية للنشر, القاهرة, مصر 2005م.
- 50- عادل عبدالقادر. موسوعة الاطعمة في الاسلام, ط1 دار العلمية الاسكندرية, مصر 2009م
- 51- علي عبد الواحد وافي, حياة المجتمعات, ج, 1, د, ط مكتبة نهضة مصر, مصر, د, د, ت
- 52- عبدالمنعم ماجد, تاريخ الحضارة الإسلامية ط, 7, مكتبة الانجلو مصرية, القاهرة, مصر, 1996
- 53- عبدالله المراغي, الزواج, الطلاق في جميع الأديان, د, ط, مكتبة المهندسين, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الجمهورية العربية الإسلامية 1996م
- 54- عبدالعليم محمد اسماعيل علي, تقنيات السرد, أساس أدبية الزحلة, جائزة الطيب صالح, الدورة الثامنة, د, ب, 2018م
- 55- فؤاد قنديل, ادب الرحلة في التراب العربي, ط2, مكتبة الدار العربية, القاهرة, مصر 2003م
- 56- فيصل بن عبدة قائد الحاشدي, الاخلاق بين الطبع والتطبع, د, ط, دار الايمان, مصر, 2003م
- سامي الدهان وآخرون, الوصف, د, ط, دار المعارف, د, ب, د, ت
- 57- سعيدبوفلاحة, دراسات في الادب الجاهلي, د, ط, د, جامعة باجي مختار, عنابة الجرائر, 2006
- 58- سيدحامد التساج, مشوار كتب الرحلة, د, ط, دار غريب, القاهرة, مصر, د, ت
- 59- سيدفؤاد بن, الحبائز, د, ط, مركز ونكر, الكويت 2012,
- 60- سعيد بن علي, احكام الجنائن, د, ط, مجمع الملك, فهد, المدنية المنورة, السعودية, 1425هـ
- 61- سعادسطي, فقه الطهارة والصلاة, ط1 دارين حزم بيروت لبنان 2011م
- 62- سعيد ابراهيم كريدية, التتار على ضغاف الفولغا وشواطئ القمر ط, 1, دار الرشاد, بيروت, لبنان, 2007م
- 63- سعيد يقطين, السرد, الغربي, ط, 1, دار الامان, الرباط, المغرب, 2012م

- 64- شوقي ضيف, الرحلات ,ط4, دار المعارف , القاهرة , مصر , 1987 م
- 65- العصر العباسي الاول ,ج,3,ط8, دار المعارف القاهرة مصر , د
1996م
- 66- شعيب حليفي, الرحلة في الادب العربي, د.ط, شركة الامل للطباعة, القصر العيني
ثالثا : الكتب المترجمة
- 67- إغناطيوس كراتشكو فسكي, تاريخ الادب الجغرافي العربي, ترجمة صلاح الدين
عثمان هاشم ,د,ط, لجنة التأليف والترجمة, القاهرة مصر , 1963م
- 68- بول آرون وآخرون, سيولوجيا الادب, ترجمة, محمد علي مقلد, ط1, دار الكتاب الجديد ,
2013م
- 69- جون ويلكنز وآخرون, الطعام في العالم القديم , ترجمة ايمان جمال الدين, مؤسسة
هنداوي, المملكة المتحدة, 2017م
- 70- دنلوب, تاريخ يهود الخزر , ترجمة, سهيل زكار, ط,2, دار احسان, دمشق, سوريا ,
1999م
- 71- مايكل كرايتون, أكلة الموتى, ترجمة , تيسير كامل , ط,2, دار الهلال
, الاسكندرية, مصر 1999
- 72- شارلز باناتي , قصة العادات والتقاليد , ترجمة , مروان سلوب ط,1, دار الخيال
, بيروت , لبنان , 2003 م
- رابعا : المذكرات
- 73- جميلة روباش , أدب الرحلة في المغرب العربي , كلية الآداب واللغات, جامعة
محمد خيضر ببسكرة, الجزائر 2018م
- خامسا : المجالات :
- 74- نومحمد نوري , الروايات التاريخية في كتابات الرجال المسلمين , مجلة أبحاث كلية
التربية الاساسية , المجلد ,11ع,1, قسم التاريخ, جامعة الموصل العراق 2011
- 75- بورقية رحمة , الظاهرة الدينية من مفطور العلوم الاجتماعية , دار
النظومة, الاكاديمية, الغرب, 2006م

76- حسام البهنساوي , اللغات الانسانية,الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ,كلية دار العلوم جامعة الغيوم,مصر, 2015

77- محمد عادل,مسلمو روسيا ومشاريع الاستقلال ,مجلة البيان ,ع3المركز العربي للدراسات الإنسانية,القاهرة,مصر, 2007م

78- سديرة سهام ,ادب الرحلة,آفاق فكرية,المجلد,3ع7المدرسة العليا للاساتذة,قسنطينة, الجزائر, 2017م

79- عمر علوي امراني,ادب الرحلة والتواصل الحضاري , سلسلة الندوات,5كلية الآداب جامعة الولي اسماعيل مكننا من الغرب 1993م

80- خلف الله حنان ، السرد العربي القديم، كلية الادب، جامعة محمد البشير الابراهيمى، برج بوعريريج، الجزائر، 2016م

سادسا: المعاجم

81- خير الدين الزركلي، الاعلام ج1، ط7، دار العلم، بيروت، لبنان، 1986

سابعا: المواقع الالكترونية

82- w.w.w.ar.m-wikipedia.org

83- w.w.w.Ahlugah.com

- شكر
- اهداء
- مقدمة.....أ- ب
- المدخل: الرحلة بوجه عام.....05
- مفهوم ادب الرحلة.....06
- خصائص ادب الرحلة.....10
- اهمية ادب الرحلة ودوافعها.....14
- اشهر الرحالة العرب وكتبهم.....19
- الفصل الاول: ابن فضلان ورحلته.....23
- عصر ابن فضلان وخليفة المؤمنين.....25
- توصيف رحلة ابن فضلان ودوافعها.....28
- ترجمة احمد بن فضلان.....33
- المحطات الكبرى لرحلة ابن فضلان.....35
- الفصل الثاني: سييولوجية السرد الحكائي في رحلة ابن فضلان.43
- المعتقدات وطقوس الدينية.....46
- عادات وطقوس الزواج.....50
- المعاملات المالية.....52
- مظاهر الطعام واللباس والنظافة.....55
- طباع و اخلاق.....60
- الجنائز والموت.....63
- اسلوب العيش.....66
- المرأة.....67
- اللغة واللهجات.....69

- خاتمة.....71
- قائمة المصادر والمراجع.....73
- الفهرس 82

الملخص:

يعد ابن فضلان أهم الرحالة في فن أدب الرحلة، وقد يكون السبب إلى العصر الذي نشأ فيه، حيث التطور في جميع المجالات، وقد كان له دور كبير في نقل الإسلام إلى بلاد الفرس، تحديدا جمهورية تاتارستان الحالية بروسيا، وسكانها لليوم يدينون بالفضل له على الإسلام إلى يومنا هذا.

رحلة ابن فضلان رغم الدراسات التي تناولتها، ما تزال بحاجة للمزيد من البحث والتدقيق؛ خصوصا حول الجزء الأخير الضائع منها، والذي لربما تناول فيه خط سير العودة، فهل يمكن العثور عليه يوما ما؟ وهل هو فعلا موجود؟ أم أن ابن فضلان سرد لنا خط الانطلاق والبلاد التي مر بها لبلاد الترك والروس والخزر والصقالبة واصفا مظاهرهم الاجتماعية؟ وأسلوبه المميز في السرد جعله من أفضل الرحالة في فن أدب الرحلة.

Summary:

Ibn Fadlan is considered the most important traveler in the art of travel literature, and the reason may be to the era in which he grew up, where he developed in all fields, and he had a great role in the transfer of Islam to Persia, specifically the current Republic of Tatarstan in Russia, and its inhabitants today owe him credit for Islam To this day.

Ibn Fadlan's journey, despite the studies that I dealt with, still needs more research and scrutiny. Especially about the last lost part of it, in which he may have dealt with the itinerary of return, so will it be found one day? Does it actually exist? Or did Ibn Fadlan recount to us the starting line and the countries he passed through to the countries of the Turks, the Russians, the Khazars, and the Saqlabah, describing their social manifestations? And his distinctive style of narration made him one of the best travellers in the art of travel literature.